

المبحث الثاني :

(الليبراليون)، وسبل مواجهتهم

المبحث الثاني (الليبراليون)، وسبل مواجهتهم

(الليبراليون) أهم الأصناف الذين تقترحهم (راند) ضمن الشبكات الإسلامية (المعتدلة)؛ ليقوموا بمواجهة الإسلام بتطبيقه الصحيح، القائم على الكتاب والسنة، والملتزم بهما، ويقوموا كذلك بتعزيز الجهود الداعية إلى الديمقراطية، وغير ذلك من الأهداف التي يسعى الغرب إلى تحقيقها.

وفيما يلي أربعة مطالب، تتضمن: تعريف (الليبرالية)، ونشأتها، وأسسها، ومجالاتها، وحكمها؛ وانتشارها في العالم الإسلامي، وخطرها على المسلمين؛ وأسباب اختيار الغرب (الليبراليين)؛ وسبل مواجهتهم وغيرهم من المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة.

المطلب الأول: تعريف (الليبرالية)، ونشأتها، وأسسها، ومجالاتها، وحكمها:

١- تعريف (الليبرالية):

(الليبرالية) مصطلح أجنبي معرّب، معناه: التحررية^(١). وهذه ترجمة للفظ فحسب، وتشمل الأصل الأكبر: (الحرية)، لكنها لا تستوعب الفكر (الليبرالي) بجميع أصوله وتطبيقاته^(٢). كما أن اختزال (الليبرالية) بأنها (التحررية) أو (الحرية) أسلوب شعارات يشتغل به دعاؤها؛ وكأن مذهبهم هو الوحيد الذي نادى بالحرية وعمل على طلبها^(٣)! ف«وضّع علاقة تلازمية بين (الليبرالية) والحرية، والحرص على المرادفة بينهما من قبل التيار (الليبرالي) هو وضع خاطئ يقوم على تحريف وتزييف ليس لمثالية المفهوم فقط، بل أيضاً للسياق التاريخي (الليبرالية) ذاتها»^(٤)؛ لذلك يذهب د. الطيب بو عزة إلى «وجوب الفصل بين (الليبرالية) والحرية، فـ(الليبرالية) مذهب... بينما الحرية قيمة مثالية، كقيم الحق والخير والعدل... ومن ثم فالدعاية التي يقوم بها الفكر (الليبرالي)، أي: التي تساوي بين الحرية و(الليبرالية)، هي دعاية جاهلة تناشر حركة الوعي والتاريخ البشري، ولا تدرك قيمة المفاهيم المثالية التي تحرك الفعل الحضاري الإنساني وتحفزه»^(٥).

(١) حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحيم بن صمايل السلمي، (جدة، مركز التأصيل

للدراسات والبحوث، ١٤٣٠هـ)، ص ١٠١.

(٢) العقلية الليبرالية: في رصف العقل ووصف النقل، عبد العزيز بن مرزوق الطريقي، (الإسكندرية، دار

الحجاز، ١٤٣٢هـ)، ص ١٣٣؛ وينظر: جذور الليبرالية العربية: الحالة المصرية، بسام عبد السلام

البطوش، (عمّان، دار كنوز المعرفة العلمية، ١٤٢٩هـ)، ص ١٣.

(٣) نقد الليبرالية، د. الطيب بو عزة، سلسلة كتاب البيان (١٠٩)، (الرياض، مجلة البيان، ١٤٣٠هـ)،

ص ١٦-١٧.

(٤) المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٥) نقد الليبرالية، ص ٢٧-٢٨.

ويذهب أحد الباحثين إلى أن الاسم «الصحيح المطابق (لليبرالية) كما سماها القرآن الكريم هو (السُّدَوِيَّة)... قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(١)». أي: «أيظنّ هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملًا أن لا يؤمر ولا ينهى، ولا يتعبد بعبادة»^(٢)؟ «هذا حساب باطل، وظن بالله بغير ما يليق بحكمته»^(٣)، «وإنَّمَا خُلِقْتُمْ للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى»^(٤). قال قال الشافعي رحمه الله: «فلم يختلف أهل العلم بالقرآن فيما علمت أن السُّدَى: الذي لا يؤمر ولا يُنهى»^(٥).

وإطلاق مصطلح (السُّدَوِيَّة) على (الليبرالية) تأصيل إسلامي حسن في نظر الباحث، ينفي ما لصق بـ(الليبرالية) من معان حسنة عند بعض المسلمين. ذلك ما يتعلق بالمصطلح من حيث كونه كلمة مفردة، أما تعريف (الليبرالية) من حيث كونها مذهبًا، فمن أهم تعريفاتها ما يلي:

أ- تعرفها الموسوعة البريطانية: بأنها مذهب ينادي بالحرية الكاملة، في ميادين الحياة المختلفة^(٦).

ب- يُعرّفها معجم (ويستر webster) الأمريكي، بأنها: «العقيدة السياسية والاقتصادية التي تؤكد على حقوق الفرد وحياته، وضرورة الحد من سلطات الحكومة»^(٧).

(١) سورة القيامة، الآية: ٣٦.

(٢) العقلية الليبرالية، ص ٤٧-٤٨.

(٣) جامع البيان ٨٢/٢٤.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٠٠.

(٥) تفسير البغوي: معالم التنزيل، محمد بن الحسين البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، سوار، ط ٢، (بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٧هـ)، ٣/٣٢٠.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/١٩٤، كتاب آداب القاضي، باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي. المفتي.

(٧) موقع الموسوعة البريطانية: <http://www.britannica.com/EBchecked/topic/339173/liberalism/237355/Civil-rights-and-social-issues>

وينظر: جذور الليبرالية العربية، ص ١١.

ج- يعرفها د. الطيب بو عزة: بأنها «فلسفة/ فلسفات اقتصادية وسياسية تركز على أولوية الفرد، بوصفه كائنًا حرًا»^(٢).

د- يعرفها د. عبد الرحيم السلمي: بأنها «مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية، وغيرها... ويقوم هذا المذهب على أساس علماني يُعظّم الإنسان، ويرى أنه مستقل بذاته في إدراك احتياجاته»^(٣).

هـ- يعرفها د. صالح الدميحي بأنها: «مفهوم يقوم على الحرية الفردية المطلقة التي لا يقيدتها إلا القانون أو التعدي على حريات الآخرين، وهذه الحرية تشمل حرية الاعتقاد والتفكير والتعبير والسلوك، إضافة إلى حرية التملك وحرية السوق، فضلاً عن الحرية السياسية بتطبيقاتها المتعددة»^(٤).

تبرز في التعريفات مقولة (الحرية)، و«هي المقولة المركزية التي يحرص المذهب (الليبرالي) على إبرازها في تحديد ذاته، ونقد مخالفه؛ وكأنه هو وحده الذي ينزع نحو الحرية ويحلم بتجسيدها! وانطلاقاً من هذه المقولة النظرية يجري تحديد طبيعة المنظور (الليبرالي) لمختلف مجالات الكينونة الإنسانية: (فالليبرالية) من الناحية الفكرية تعني «حرية» الاعتقاد والتفكير والتعبير. ومن الناحية الاقتصادية تعني «حرية» الملكية الشخصية، و«حرية» الفعل الاقتصادي المنتظم وفق قانون السوق^(٥). وعلى المستوى السياسي تعني «حرية» التجمع وتأسيس الأحزاب،

(١) موقع معجم (وبستر): <http://www.merriam-webster.com/dictionary/liberalism>

(٢) نقد الليبرالية، ص ٢٠.

(٣) حقيقة الليبرالية، ص ١٠١-١٠٢.

(٤) موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين: دراسة تحليلية نقدية، د. صالح بن محمد بن عمر الدميحي، سلسلة كتاب البيان (١٤٦)، (الرياض، مجلة البيان، ١٤٣٣هـ)، ص ٥٨.

(٥) "الفرد وحرية المطلقة في الكسب والإنفاق والاستهلاك هو المغزى المقصود من (الليبرالية الاقتصادية)...أخذًا بشعار الثورة الفرنسية: (دعه يعمل.. دعه يمر)". معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص ١٦٨.

واختيار السلطة. وهكذا نلاحظ أن مقولة الحرية لا تشكل فقط مبدأ من جملة مبادئ، بل هي مرتكز لتأسيس غيرها من المبادئ. هذا مع ضرورة الوعي بأن لفظ الحرية ذاته ليس لفظاً محدد الدلالة ولا محدود الأبعاد^(١).

ويحيط بمفهوم (الليبرالية) كثير من الغموض؛ حيث تبدل مفهومها مع مرور السنين. ويرجع ذلك إلى غموض مبدأ الحرية، ووجود التناقض والتعارض بين المفاهيم (الليبرالية)، وإلى غيرهما من الأسباب^(٢).

وتهدف (الليبرالية) - كما ورد في تعريفات أخرى - إلى تحرير الإنسان - فرداً كان أم جماعة - من القيود السياسية، والدينية، والاقتصادية، والثقافية^(٣)؛ فهي بذلك عدوة للأديان، عدوة لدين الإسلام. يقول د. عبد الرحيم السلمي: «(الليبرالية) فكرة غريبة مستوردة، وليست من إنتاج المسلمين، وهي تنفي ارتباطها بالأديان كلها، وتعتبر كافة الأديان قيوداً ثقيلة على الحريات لا بد من التخلص منها»^(٤).

٢- نشأة (الليبرالية):

ظهرت (الليبرالية) - بوصفها نظاماً مجتمعياً - في عصر النهضة الأوروبية في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، الموافق لأواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ونشأت في ظروف غير طبيعية؛ فجاءت (الليبرالية) ردة فعل لتلك الظروف، وكان ظهورها في أوله متجهًا نحو التحرر من قيود الدين والنظم الاقتصادية والسياسية الصارمة للإقطاع والملكية، ولكنها لم تكن واعية بذاتها منذ البداية، بل أخذت تتكون زمنًا طويلاً، وتنوعت صورها واتجاهاتها وتياراتها في كل فترة بحسب ظروفها وطبيعتها، ثم تبلورت بعد ذلك وأصبح لها أسس فكرية عامة. وبدأ تنامي (الفكر

(١) نقد الليبرالية، ص ٢٠-٢١.

(٢) ينظر: حقيقة الليبرالية، ص ١١٣-١٢٠.

(٣) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية، إشراف: معن زيادة، (بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨٨م)، ١١٥٦/٢؛ وموسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ترجمة خليل أحمد خليل، ط ٢، (بيروت -

باريس، منشورات عويدات، ٢٠٠١م)، ٧٣٣/٢؛ والموسوعة الحرة (ويكيبيديا):

<http://ar.wikipedia.org/wiki>

(٤) حقيقة الليبرالية، ص ٥٧٠.

الليبرالي المعاصر) في بداية القرن الخامس عشر الهجري/ السبعينيات الميلادية من القرن المنصرم، في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، وزاد ظهوره في الفكر الغربي بعد سقوط الشيوعية، وصارت (الليبرالية الجديدة) الأساس الفكري الذي قامت عليه فكرة العولمة. وأصبحت (الليبرالية) اليوم من أبرز المذاهب تأثيراً في حياة المسلمين، وبخاصة أنها تعتمد على معان براقية، كالحرية، والتسامح، والمساواة، والديمقراطية، ونحو ذلك^(١).

٣-أسس (الليبرالية):

تقوم (الليبرالية) على ثلاثة أسس، ويضيف بعضهم أساساً رابعاً، وهي: أساس (الحرية)، وأساس (الفردية)^(٢)، وهما مميّزان (لليبرالية) عن غيرهما من المذاهب الفكرية الغربية التي ظهرت في عصر النهضة الأوروبية. وتتشترك (الليبرالية) مع غيرها من المذاهب في الأساس الفكري الثالث لها، وهو: (العقلانية)^(٣).

كما تُعدُّ العلمانية «الأساس الفلسفي (لليبرالية)، بل الجسر الذي تعبّر عليه سائر الأفكار العقلانية»^(٤). و«لا يمكن أن تكون هناك (ليبرالية) دون علمانية»^(٥).

٤-مجالات (الليبرالية):

(١) ينظر: نقد الليبرالية، ص ٢٢؛ وحقيقة الليبرالية، ص ٦-٧، ١١٢-١١٣؛ ومعركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص ٤٠.

(٢) كانت الفردية بمعنى الأنانية وحب الذات. وغلب هذا المعنى حتى آخر القرن التاسع عشر الميلادي، لكنه صار بعده بمعنى استقلال الفرد من خلال العمل المتواصل والاعتماد على النفس والثقة بها، والتحرر من قيود العالم الطبيعي، والتعالي عليه. ينظر: حقيقة الليبرالية، ص ١٤٦-١٤٧، ١٥١.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢١. و«تعني العقلانية: استقلال العقل البشري بإدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قوى خارجية». نفسه، ص ١٥٣.

(٤) العقلية الليبرالية، ص ٥٣؛ وينظر: الليبرالية في السعودية والخليج: دراسة وصفية نقدية، وليد بن صالح الرميضان، (بيروت، روافد للطباعة والنشر، ١٤٣٠هـ)، ص ٥٣.

(٥) الليبرالية في السعودية والخليج، ص ٥٧.

تشير بعض التعريفات السابقة (الليبرالية) إلى أنها تشمل جميع مجالات الحياة. لكنّ هناك مجالين يعدان الميدان الأساس لها، وهما: (السياسة)، و(الاقتصاد)، «فقد ارتبطت (الليبرالية) بهذين المجالين باعتبارها فكرًا سياسيًا واقتصاديًا يدعو إلى الحرية الفردية، ويرفض الاستبداد والقيود المفروضة على حرية الفرد»^(١).

«و(الليبرالية السياسية): نظام سياسي يقوم على ثلاثة أسس، هي: العلمانية، والديمقراطية، والحرية الفردية»^(٢)، وتعني (الليبرالية السياسية): «تحمّك الأفراد بشأن دولتهم وأنظمتهم السياسية، وذلك بواسطة تنظيم الأحزاب والتمثيل النيابي»^(٣). فالفرد «له الحق في اختيار السلطة التي تحكمه... وإذا اعتدت هذه السلطة الحاكمة على الفرد وحرياته فله الحق في تغييرها واختيار غيرها»^(٤).

و(الليبرالية) من الناحية السياسية اتجاه حاكم على النظم قبل أن تكون محكومة بها، فلا تعترف بهيمنة القوانين والأديان إلا إذا احترمت جوهر الفلسفة (الليبرالية) القائم على الحرية الشخصية^(٥).

وتُقرر (الليبرالية السياسية): «وجوب استقلال السلطة التشريعية، والسلطة القضائية، عن السلطة التنفيذية»^(٦).

(١) حقيقة الليبرالية، ص ١٨٣؛ وينظر: موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ١١٣، ١٢٥.

(٢) موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ١٢١.

(٣) العقلية الليبرالية، ص ٧٤؛ وينظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م)، ٤٦٣/١.

(٤) النظام السياسي الإسلامي والفكر الليبرالي، د. محمد الجوهري حمد الجوهري، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٣م)، ص ١٣.

(٥) موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ١٢١.

(٦) المعجم الفلسفي ٤٦٥/١؛ وينظر: موسوعة لالاند الفلسفية ٧٢٥/٢.

كما تُقرر: «الفصل بين السياسي والأخلاقي، فليس لمنظومة الأخلاق والقيم مكان في الرؤية السياسية (الليبرالية). وإنما هي قائمة على النفعية»^(١).

وأما (الليبرالية الاقتصادية)، فهي: «عدم تدخل الدولة في شأن الاقتصاد، وتركه لقوانين السوق، فلا تتحكم لا في الإنتاج ولا في التوزيع، وإنما تضع قواعد الاحتكام وتنسحب»^(٢).

وتقترن (الليبرالية الاقتصادية) دومًا بـ (الليبرالية السياسية)^(٣).

وتُظهر (الليبرالية الاقتصادية) زيف دعاوى (الليبراليين) تجاه حرية الفرد، يقول د. الطيب بو عزة: (الليبرالية) - بدءًا من القرن التاسع عشر الميلادي إلى اللحظة الراهنة - ليست دعوة إلى حرية الفرد بوصفه كائنًا إنسانيًا، بل هي دعوة إلى حرية الفرد بوصفه مالكًا اقتصاديًا؛ وهذا يدعونا إلى الاحتراس من الوقوع في شرك اللغة الدعائية للمذهب (الليبرالي)، التي تسوّقه بوصفه مذهب الحرية؛ وإنما حقيقته ومقصده: تحرير القوة الاقتصادية، والوصول إلى التأسيس للاستبداد الرأسمالي^(٤). «إن الفلسفة (الليبرالية) ابتذلت مفهوم الحرية واختزلتها إلى مجرد دال على حرية القوة الاقتصادية ليس غير»^(٥).

كما تُظهر (الليبرالية الاقتصادية) أن «الليبرالية فكر استعماري يريد الهيمنة على شعوب العالم وينهب ثرواتهم... وتطبيقاته المعاصرة (العولمة) تدل على ذلك»^(٦). وهذه العلاقة بين

(١) موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ١٢٢؛ وينظر: نقد الليبرالية، ص ١٤٥ - ١٤٦.

(٢) العقلية الليبرالية، ص ٧٤.

(٣) موسوعة السياسة ٥/ ٥٦٦.

(٤) نقد الليبرالية، ص ١٤٤.

(٥) المرجع السابق، ص ١٥٢.

(٦) حقيقة الليبرالية، ص ٦١٧.

(الليبرالية) والاستعمار جعلت (الليبراليين) في الغالب يتصرفون ضد الحرية^(١)، التي هي أساس مذهبهم.

٥- حكم (الليبرالية):

وُجد لدى الأمم السابقة وأهل الجاهلية من قريش زمن البعثة عدد من الحريات التي تدعو إليها (الليبرالية)؛ فالحرية الجنسية هي التي آمن بها قوم لوط -عليه السلام- فوصلوا فيها إلى غايتها^(٢)، وقد قص القرآن العظيم ماذا حل بهم، وجعل دارهم أثرًا باقياً لتعتبر الأمم. والحرية الاقتصادية هي التي طالب بها قوم شعيب -عليه السلام- فأرادوا أن يتصرفوا بأموالهم كيف يشاؤون دون أمر أو نهي من دين أو سلطة، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾^(٣). والحرية الدينية هي التي عرضها كفار قريش على النبي محمد ﷺ، لَمَّا أيسوا من رد دعوته، فطلبوا الإقرار بعقيدتهم ليقرروا بعقيدته، ويؤمن بآلهتهم سنة، ويؤمنون بإلهه سنة، فأنزل الله تعالى: سورة الكافرون، وأنزل: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾^(٤) وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ

(١) موسوعة السياسة ٥/٥٦٦؛ والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/١١٣٦.

(٢) من (القيم الليبرالية): الدعوة إلى المساواة، والاعتراف بالمثلثة الجنسية بين النساء والرجال بصفتها تعبيراً مشروعاً عن النزعات الشخصية. وهذه من القيم التي جعلتها (الليبرالية الدولية)، ضمن برنامجها العالمي، فهي إذن تدعو إلى الشذوذ الجنسي وفق برنامج عالمي. و(الليبرالية الدولية) هي الاتحاد الدولي للأحزاب السياسية (الليبرالية)، تأسست عام ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، تُعنى بتعزيز (الليبرالية) وتقوية الأحزاب (الليبرالية) التي تُعنى بنشر الديمقراطية (الليبرالية) في شتى بقاع العالم. ينظر: برنامج الليبرالية الدولية: الوثائق الأساسية للاتحاد الفيدرالي العالمي للأحزاب السياسية الليبرالية، د. رونالد ميناردوس (تحرير)، (القاهرة، مركز المحروسة للنشر، ٢٠٠٩م)، ص ١١، ٦٣-٦٤.

(٣) سورة هود، من الآية: ٨٧.

لِيَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾^(١)^(٢).
وتحاول (الليبرالية) اليوم أن تجمع جميع مساوئ الأمم السابقة التي تحرروا بها من كل خلق
ودين وفطرة سليمة، وأتبعوا فيها أهواءهم، وتجعلها مجتمعة ماثلة في جيل اليوم.

«و(الفكر الليبرالي)... يخاطب في الإنسان أخط ما فيه، يزكي حرصه وبخله، ويشجع
أنانيته وجبنه، ويحيي فيه الغرور والكبرياء، ويطالبه بالتححرر من أي مبدأ في الأرض أو وحي من
السماء، وذلك الفكر يغويه بالتمرد، ويأمره بالتفلسف ليكون في ظله عرياناً من القيم، باقياً على
عهد الشيطان، متخلياً عن عهد الرحمن الذي قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَئِءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٣)»^(٤).

وقد بين الله سبحانه في كتابه أن أهل الجنة هم الذين ينهون أنفسهم عن أهوائها، وأن
الذين يتبعون أهواءهم وشهواتهم مصيرهم النار، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٥). وقال تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا
الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾^(٦). ولا أحد أضل ممن اتبع هواه، قال تعالى: ﴿فَإِنْ
لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٧).

(١) سورة الزمر، الآيات: ٦٤-٦٦.

(٢) ينظر: جامع البيان ٦٦٢/٢٤؛ والعقيلة الليبرالية، ص ٩٠-٩١.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٠.

(٤) معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص ١١.

(٥) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠-٤١.

(٦) سورة مريم، الآية: ٥٩.

(٧) سورة القصص، الآية: ٥٠.

وتحتوى (الليبرالية) على نواقض متعددة من نواقض الإيمان، وكل واحد منها يكفي في الخروج عن الإسلام، فتحتوى أولاً على: كفر الاستحلال، وهو الاعتقاد بحل المحرمات مع علمه بالدليل؛ وثانياً: كفر الشك، وهو عدم اليقين وعدم القطع بالصحة أو البطلان؛ وثالثاً: كفر الإباء والامتناع، وهو عدم الانقياد والاستسلام لأمر الله تعالى وشرعه، ومن أمثلته: منع الزكاة، كما حصل زمن خلافة أبي بكر رضي الله عنه؛ ورابعاً: الحكم بغير ما أنزل الله؛ وخامساً: شرك القصد والإرادة^(١).

«وأخيراً فإن (الفكر الليبرالي) والدين الإسلامي على النقيض في كل شيء، فتبقى دعوات (لبرلة) الإسلام أو أسلمة (الليبرالية) وهماً لا يمكن تحقيقه ولا القرب من ذلك، إلا إذا اجتمع الكفر والإيمان»^(٢). وأي محاولة للتوفيق «بين (الليبرالية) و(الإسلام) هي عملية تغيير لمفهوم كل واحد منهما، وتبديل لمعناه يُخرجه عن حقيقته إلى مفهوم مشوه، وصورة غير صحيحة لكل منهما»^(٣).

(١) ينظر: حقيقة الليبرالية، ص ٥٧٧-٥٩٠، ٦١٩. "ويجب التفريق بين الاتباع التام والكامل للهوى الموجود في (الليبرالية) بصورة عامة واعية ومنهجية، وبين اتباع العاصي لهواه وشهوته، فاتباع الهوى في المعصية ليس تاماً كاملاً بل هو اتباع جزئي، فهو معترف بخطيئته ومعصيته، أما في (الليبرالية) فهو اتباع تام مع اعتقاد أحقية الفرد في اتباع هواه". المرجع السابق، ص ٥٩٠.

(٢) موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ٩٣١.

(٣) حقيقة الليبرالية، ص ٥٧٠.

المطلب الثاني: انتشار (الليبرالية) في العالم الإسلامي، وخطرها على المسلمين:

تسللت (الليبرالية) إلى البلاد الإسلامية من خلال (الجمعيات السرية) التي كوَّنها أفراد تأثروا بالفكر الغربي وانبهروا بحضارته المادية، وكان الاستعمار وأعوانه من دعاة التغريب والمنبهرين بالحضارة الغربية السبب المباشر لدخول (الليبرالية) في العالم الإسلامي، ابتداءً من حملة القائد الفرنسي (نابليون)^(١) الشهيرة على مصر خلال السنوات ١٢١٣-١٢١٦ هـ / ١٧٩٨-١٨٠١ م، وتنامى انتشارها في البلدان الإسلامية بشكل تدريجي في أواخر عهد الدولة العثمانية. وأسهم في دخولها عوامل أضعفت ثقة الأمة بدينها، وهيأت المجتمع الإسلامي لتقبل (الليبرالية) وغيرها من الأفكار الإلحادية وعدم مقاومتها، وهذه العوامل هي: الانحراف العقدي، الذي نشرته الصوفية وغيرها من المذاهب الضالة، والاستبداد السياسي، والجمود والتقليد وترك الاجتهاد والتجديد؛ ف(الليبرالية) في العالم الإسلامي ليست إنتاجاً داخلياً بل هي فكر أجنبي فرضه الاستعمار، وتقبله بعض المسلمين لوجود خلل فكري أو أخلاقي لديهم؛ ولهذا لم يخرج عن كونه فكرًا مكرراً، وتقليدًا أعمى للحضارة الغربية^(٢).

وعاد بروز الفكر (الليبرالي) حديثاً في الدول الإسلامية بعد سقوط الشيوعية^(٣). ويشير تقرير (بناء شبكات) إلى قلة (الليبراليين)، وضعف القبول لهم في الشرق الأوسط، يقول التقرير: يعد غياب حركات تحررية علمانية واسعة القبول في الشرق الأوسط العائق الرئيس في تكوين بناء شبكات إسلامية (معتدلة). ولا يوجد اليوم سوى أفراد ومجموعات صغيرة

(١) (نابليون بونابرت): قائد عسكري فرنسي، مثَّل أشهر عبقرية عسكرية في زمنه، كوَّن إمبراطورية ضمت معظم غربي أوروبا ووسطها، وانتخب عام ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م إمبراطوراً لفرنسا. توفي فيها عام ١٢٣٦ هـ / ١٨٢١ م. الموسوعة العربية العالمية ٩/٢٥-١١.

(٢) ينظر: حقيقة الليبرالية، ص ٣١٩-٣٩٣؛ وموقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ١٥٨-١٦٠.

(٣) النظام السياسي الإسلامي والفكر الليبرالي، ص ٣.

متفرقة. وفي حوار مع بعض المثقفين (الليبراليين) المصريين، قالوا: من المهم أن تساعد الولايات المتحدة في تضخيم الأصوات (الليبرالية) بما يزيد من وضوحها محليًا ودوليًا، واقترح أحدهم أن تقوم الولايات المتحدة بإنشاء موقع لـ (الليبرالية الدولية) على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)؛ لتقديم الدعم المعنوي^(١).

كما يشير التقرير إلى أن (الليبراليين) في العالم الإسلامي ليس لديهم الوسائل التنظيمية الفاعلة لمواجهة (المتطرفين). وأن الكثير من المسلمين يعترفون بأنه لا توجد حركة (إسلامية ليبرالية)، ولا يوجد سوى بعض الأفراد المعزولين والمحاصرين في الغالب^(٢). لقد بات الدعم الغربي اليوم لأصحاب الأفكار (الليبرالية) أمرًا واقعيًا في المجتمعات الإسلامية.

وهكذا يعود الاستعمار الحديث بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ليحيي ما مات من الفكر (الليبرالي)، وينتشل ما ضعف منه من ضعفه، ويحاول أن يجعل له المكانة في البلاد، والرواج بين العباد.

وتتضح خطورة (الليبرالية) و(الليبراليين) على العقيدة والشريعة والمجتمع في «الحالة التي يتميز بها المذهب (الليبرالي) عن غيره من المذاهب السياسية في لحظتنا الراهنة؛ حيث لم تعد (الليبرالية) اليوم تُقدّم بوصفها أنموذجًا أو نظامًا سياسيًا واقتصاديًا من بين أنظمة أخرى، بل يصح القول: إنها تكاد تُقدّم بوصفها الأنموذج الوحيد لتسيير الشأن السياسي والمجتمعي، دونما منافس لها أو بديل»^(٣). وبخاصة أنها صارت «أخيرًا مقبولة بوصفها النموذج العالمي على التنظيم السياسي»^(٤).

ويزيد من الخطورة «الخطاب الدعائي المصاحب (لليبرالية)، الذي يكاد يرادف بينها وبين معنى الحرية والعدل والمساواة والسعادة، فيجعل من ثم ناقدًا عدوًا للتحرر، وداعيًا إلى

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 113

(٢) المرجع السابق: P. 4

(٣) نقد الليبرالية، ص ٥.

(٤) برنامج الليبرالية الدولية، ص ٦٤.

الاستبداد! ومناهضًا للعدل وداعيًا إلى الظلم»^(١). وكأن (الليبرالية) وحدها هي التي تمنح هذه القيم، إذا سُلِّم أنها تمنحها. وإلا فالواقع أن (الليبرالية) فكرة عقلية تُنظر للنزوع البشري نحو المُثل، ومن ضمنها مثال الحرية، لكنها لا تحقق تحصيل المثل ومطابقته لِعين واقعها^(٢). هذا مع ما ينتج عن الحرية من التخلي عن الإسلام، والانتقال إلى غيره، أو البقاء بلا دين، وترك الشريعة الإسلامية وآدابها، واتِّباع الشيطان، وغير ذلك من المهلكات.

وقد استطاع (الليبراليون) والعلمانيون أن يروِّجوا باطلهم بين المسلمين، وأن يسحبوا بعض طلبة العلم إلى تقرير بعض ذلك الباطل، وانتشرت على إثر هذا فتاوى شاذة، أو مرجوحة، أو غير ملائمة للزمان والمكان والحال. مثال ذلك: الدعوة إلى جواز الاختلاط، وأن الشرع لا يمنع منه. فلو وَقفت الدعوة على (الليبراليين) ومن معهم لسهل ردها، ولكن عندما يتحدث بها بعض طلبة العلم -عن حسن قصد، وفي غفلة عن مرامي أصحابها الأصليين- فإن الأمر يتسع، والفتنة تكبر، وأهداف المغرضين تتحقق.

لكنَّ كثيرًا من دعوات (الليبراليين) وشُبَّههم التي يروجون لها بأنفسهم أو بواسطة بعض المخدوعين ممن ينتسب إلى العلم، قد لقيت -بحمد الله- وقوفًا شامخًا وسدًّا منيعًا أقامه الراسخون في العلم من كبار العلماء، ومن تلمذ على أيديهم من الدعاة وطلاب العلم، وخطباء الحرمين الشريفين والجموع، بل ومن كثير من شرائح المجتمع باختلاف مؤهلاتهم وتخصصاتهم؛ فهم في حضور ووعي لما يدور ويُقال، ويدركون كثيرًا من الأسباب والأبعاد لما يحاك.

و«من مواطن الأذى والأسى اعتمال أقوام بذل طاقاتهم وجهودهم لتحطيم الرادّين على أهل الأهواء، والشغب عليهم، ففي الوقت الذي نرى فيه نزرًا ينزوي عن النذارة بغير وجه، نرى

(١) نقد الليبرالية، ص ٧.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص ٧، ٩.

فريقًا آخر يضيف إليه المجادلة عن المبطلين بتخذيل القائم بالحراسة؛ لتغطية مرض التقصير بداء التخذيل. وانظر كيف تُدفع آفة بآفة، وتُعوَّق مسيرة الحياة الإسلامية الصافية. والتخذيل لا يسري في أمة إلا وتعمل على إسقاط نفسها بنفسها، وتُوجد من تقصيرها وتخذيل الناصحين فيها معاول لهدمها»^(١).

(١) الرد على المخالف من أصول الإسلام، بكر بن عبد الله أبو زيد، (القاهرة، دار الحرمين، ١٤٢٦هـ)،

المطلب الثالث : أسباب اختيار الغرب (الليبراليين):

ينص تقرير (بناء شبكات) على أن (الليبراليين) هم أهم الشركاء للغرب في مواجهة الإسلام^(١). ويدعو إلى نشر الفكر (الليبرالي) في الدول العربية، عبر وسائل وأساليب، منها: ترجمة المقالات والكتب (الليبرالية) الإندونيسية والتركية إلى اللغة العربية؛ حيث يمكنها أن تؤثر في نشر الأفكار (الليبرالية) بين العرب، وبخاصة إذا استُبعد من الكتب التركية ما فيها من تصوف لا تقبله الثقافة العربية^(٢).

ويعدُّ تقرير (بناء شبكات) وجود (الليبراليين) في الجامعات ومؤسساتها والمراكز البحثية أمراً مهماً؛ حيث يمكنهم من خلالها التأثير فكرياً. ويعدُّ هذه القطاعات تكتلاً رئيساً لتكوين شبكة عالمية من المسلمين (المعتدلين)^(٣).

وإذا كان (الليبراليون) أهم الشركاء للغرب، فمن الطبيعي أن تكون حمايتهم أولوية في السياسة الغربية، وقد أشارت دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) إلى استمرار نظام الحكم المصري -قبل ثورة ٢٥/يناير/٢٠١١م/ ١٤٣٢هـ- في القضاء على (الليبراليين)، وأنه كان للولايات المتحدة جهود في حماية بعضهم ومنع محاكمتهم^(٤).

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 3

(٢) المرجع السابق: P. 88 . ويسرد التقرير في حاشية (35) مجموعة من الكتب التي قامت بترجمتها من

الإندونيسية إلى اللغة العربية مؤسسة الحرية للجميع (The Libforall Foundation)، ومقرها

الولايات المتحدة، ومن تلك الكتب التي تُرجمت ما يلي:

أ- (الشريعة الإسلامية على حافة الدولة القومية)، تأليف أزمورادي أوزرا.

ب- (الديمقراطية والدين: وجود الدين في السياسة الإندونيسية)، تأليف باهاثير إيفيندي.

ج- (إصلاح قانون الأسرة الإسلامي في إندونيسيا)، تأليف سيتي مسده موليا.

د- (تجنب حُرية الكتاب المقدس: أهمية إعادة فهمنا للإسلام)، تأليف يوليل أبشار عبدالله.

(٣) نفسه: P. 79

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 99

وتتأسف على استبعاد ثمانين عضوًا من أصحاب الفكر (الليبرالي) من مجلس النواب الإيراني عام ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤ م؛ وأن هذا يمثل انتكاسة لخط سير المجلس^(١). وتشير أيضًا إلى تعرض عدد من (الليبراليين الإصلاحيين) لسوء المعاملة من قبل النظام الإيراني، من سجن، ومضايقة، وتهديد بالقتل في بعض الحالات^(٢).

وفيما يلي أهم الأسباب التي تجعل الغرب يختار (الليبراليين) ويدعمهم ويحميهم:

١- هدم الإسلام من داخله:

يذكر تقرير (بناء شبكات) أن (الليبراليين) المسلمين يختلفون عن العلمانيين في أن فكرهم يقوم على أساس ديني، يشبه الديمقراطيين النصارى من الأوروبيين، لكنهم يدافعون عن برامج عمل متوافقة مع المفاهيم الغربية من الديمقراطية والتعددية. وقد يكون (الليبراليون) المسلمون متمسكين بالآداب الإسلامية المختلفة، ويسعون للتوفيق بين القيم الأساسية للإسلام والعالم الحديث. ويشترك (الليبراليون) المسلمون في الاعتقاد بأن القيم الإسلامية تتسق مع القيم الديمقراطية، والتعددية، وحقوق الإنسان، والحريات الفردية^(٣).

وتذكر دراسة (العالم الإسلامي بعد ٩/١١) أن «(الليبراليين) المعتدلين يسعون إلى التوفيق بين الإسلام وقيم الديمقراطية (الليبرالية) الغربية. وأن تأكيدهم على سيادة القانون والعقلانية يجعلهم يتقبلون المفاهيم الغربية للديمقراطية، والتعددية، وحقوق الإنسان... كما أنهم يفرقون بين قواعد الشريعة القائمة على أسس العبادة التي يعتبرونها ذات أهمية كبيرة، وبين قواعد القائمة على أسس العلاقات الاجتماعية، والتي يقولون عنها إنها أقل أهمية؛ وبالتالي فإن لديهم القدرة على التوفيق بين الشريعة والقانون العلماني في الممارسات الحديثة»^(٤).

فالعرب يجعل (الليبراليين) في المنزلة الأولى المقربة لديه؛ ويجد فيهم القابلية لتحريف مدلولات الشريعة الإسلامية وأحكامها الثابتة، وإيجاد مدلولات جديدة تتلاءم مع الأهداف

(١) المرجع السابق: P. 217

(٢) نفسه: P. 224

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 71

(٤) The Muslim World after 9/11. P. 24

الغربية والثقافة الغربية الإلحادية، ويقدمون للمجتمعات الإسلامية برامج عمل تتوافق مع تلك الثقافة، وتحقق تلك الأهداف، ومن أهمها إكمال مشروع أمركة العالم. ولذلك يدعو تقرير (بناء شبكات) إلى أن يستخدم (الليبراليون) نفس الطرق التنظيمية التي يستخدمها أهل الإسلام من وسائل اتصال فاعلة؛ لنشر التفسيرات (المعتدلة والمستنيرة) للإسلام^(١).

يقول ابن تيمية رحمه الله: «ولمّا كان النبي ﷺ قد أخبر: أن هذه الأمة تتبّع سنن من قبلها، حذو القذة بالقذة... وجب أن يكون فيهم من يحرف الكلم عن مواضعه؛ فيغيّر معنى الكتاب والسنة فيما أخبر الله به، أو أمر به»^(٢).

والتحريف، أو التأويل بالباطل: بدعة شيطانية، فإن إبليس أول من قاس قياسًا فاسدًا عارض به النص، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾^(٣). ثم بدعة يهودية، حرفوا بها التوراة، وقد جاء في القرآن الكريم تخصيصهم بالوصف بالتحريف، دون غيرهم من الأمم، فهم الراسخون في التحريف، وغيرهم تبع لهم فيه. ثم صار بدعة لدى النصارى، حرفوا في الإنجيل. ثم في المنتسبين إلى الإسلام ظاهرًا: المنافقين. ثم آلت هذه البدعة إلى كثير من الفرق الضالة بين المسلمين، وغيرها من الملاحدة، والزنادقة، أفرادًا أو جماعات^(٤).

قال ابن القيم رحمه الله: «والتحريف: العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه. والنوعان مأخوذان من الأصل عن اليهود، فهم الراسخون فيهما، وهم شيوخ المحرفين، وسلفهم»^(٥).

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 4

(٢) مجموع الفتاوى ١٣٠/٢٥.

(٣) سورة الأعراف، من الآية: ١٢؛ وسورة ص، الآية: ٧٦.

(٤) تحريف النصوص من مأخذ أهل الأهواء في الاستدلال، بكر بن عبد الله أبو زيد، (الرياض، دار

العاصمة، ١٤١٢هـ)، ص ٤١، ٤٥، ٤٩.

(٥) الصواعق المرسلّة، ١/٢١٥-٢١٦.

وقال رحمه الله: «التأويل يتجاذبه أصلاً: التفسير، والتحريف. فتأويل التفسير هو الحق، وتأويل التحريف هو الباطل. فتأويل التحريف من جنس الإلحاد، فإنه هو الميل بالنصوص عن ما هي عليه، إما بالطعن فيها، أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها... فالتأويل بالباطل، هو إلحاد، وتحريف، وإن سماه أصحابه تحقيقاً، وعرفاناً وتأويلاً»^(١). هـ. وإن سموه في الزمن المعاصر: (اعتدالاً)، أو (تحديثاً)، أو (تنويراً)، أو (معاصرة).

وقد «أجمع أهل الأرض على اختلاف مللهم، وتشعب طوائفهم ومذاهبهم، على تحريم (قصد التحريف والتغيير والتبديل)؛ لِمَا يفضي إليه من الميل عن الصراط، والتخبط في مضاجع الفساد... لكن هذا الإجماع لم يَسلم لأهل ملة، إلا لأهل ملة الإسلام»^(٢)، بل «لأهل السنة والجماعة منهم، فهي عندهم من شعار الإسلام، ومعالم الإيمان»^(٣).

«لقد كان التأويل باب شر كبير، ولج منه الذين يريدون هدم الإسلام، فما تركوا شيئاً إلا أولوه، ولولا حماية الله ورعايته لهذا الدين لدرست معالمه وضاعت حدوده»^(٤).

وكان من أجلّ جهاد أهل السنة في «البيان الإيماني: بيانهم عن (مآخذ أهل البدع والأهواء في الاستدلال)، التي تقلب الشريعة، وتُغيّر صفحتها، من شرع منزل، إلى شرع مُبدّل، ودين محرّف»^(٥).

و«(الخطاب الليبرالي العربي) لم يكتف بالمخاصمة الشرسة مع الدين الإسلامي، أو المناكفة الظاهرة لقبول أحكامه والانقياد لتعليماته، وإنما سعى - كما فعل المستشرقون من قبل - إلى دراسة الدين الإسلامي وتشريعاته بل التراث الإسلامي بعمومه، ولم يكن الهدف من ذلك البحث عن الدين الحق أو المقارنة الموضوعية بين الإسلام وغيره من الأديان، وإنما البحث عن مستندات تراثية تسوغ لهم ترويج الثقافة الغربية في بلاد المسلمين باسم التراث

(١) المرجع السابق ٢١٧/١.

(٢) تحريف النصوص، ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق.

(٤) التأويل: خطورته وآثاره، د. عمر سليمان الأشقر، (عمان، دار النفائس، ١٤١٢هـ)، ص ٨.

(٥) تحريف النصوص، ص ٦.

الإسلامي»^(١).

وهكذا يتخذ (الليبراليون) في البلاد الإسلامية منهجًا جديدًا مغايرًا لما كان عليه الأمر قبل، فيقومون بتأصيل الفكر (الليبرالي) من داخل التراث الإسلامي، وتغيير الخطاب (الليبرالي) من خطاب مناوئ للإسلام، إلى خطاب يلبس ثوب الإسلام، ويمارس النقد والهدم من الداخل. دفعهم إلى ذلك فشل الهجوم والإقصاء لهذا الدين، وتنامي عودة الأمة إلى التمسك بإسلامها^(٢).

وأصبحنا نرى كثيرًا من الإعلاميين -وعهدنا بهم أنهم إعلاميون- "يركبون مطية الدين بدعوى تجديده تارة، ويهجمون عليه تارات أخرى... ولهم في الدين... مشارب لا يستعذبها إلا العدو أو من في قلبه مرض"^(٣). وصارت لهم فتاوى واختيارات وترجيحات، وتحليلًا وتحريمًا، وأصبحوا يلبسون ثياب المفتي والعالم والمرشد، ويُلَبَّسون على الناس أمور دينهم، ولا يردهم شيء عن الخوض في أي باب من الدين.

"وقد تبنت الولايات المتحدة الأمريكية فكرة تعميم مفاهيم (الليبرالية الدينية) وعدّها جزءًا من حربها العالمية على الإسلام، والهدف ليس احترام العقائد بقدر ما هو ازدياد العقيدة الإسلامية، وتشجيع الخروج عليها، والارتداد عنها، حتى صارت أمريكا حامية لكل الزنادقة والملحدين في العالم الإسلامي، لتتخذ منهم رأس حربة في حربها ضد الإسلام نفسه"^(٤).

"إن تلك الحرب المسعورة على الإسلام -لحساب (الليبرالية)- تهدف إلى نقضه عروة عروة، وذلك من خلال ثورة (الليبراليين الجدد) التي تتفرع إلى ثورة على العقيدة، وثورة على الشريعة، وثورة على الأخلاق. فكل ثوابت العقيدة من أمور التوحيد والعبودية والحاكمية والولاء والبراء ومفاصلة الأعداء؛ يناقضها (الفكر الليبرالي) من البداية إلى النهاية. و(الليبرالية) ثورة

(١) موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ١٨٩؛ وينظر: الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١٨٤.

(٢) حقيقة الليبرالية، ص ٩؛ وينظر: الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١٤٣.

(٣) تحولات النخب، أ.د. محمد بن سعود البشر، ط ٢، (الرياض، دار غيناء للنشر، ١٤٣٠هـ)، ص ١٩.

(٤) معركة الشوايت بين الإسلام والليبرالية، ص ١٠٣-١٠٤.

أيضاً على محكمات الشريعة فيما يتعلق بالتشريع، والتقنين، وقضايا المرأة، والجهاد، والحسبة، والحدود، وإقامة الشرائع والشعائر، كما أنها ثورة على الأخلاق والقيم والتراث والتاريخ^(١). والاستشراق نفسه لم يقف عند تعمد عدم الفهم للإسلام، ولم يقف عند التلاعب بنصوص الإسلام، بل إنه قد برع أيضاً في طبخ النصوص الإسلامية لتتلاءم مع ما يريده الغرب، وتنصاع له في بناء الإسلام الجديد^(٢). وما يقوم به (الليبراليون) في بلدان المسلمين ما هو إلا وجه من وجوه الاستشراق، الذي جر بعض ذيوله من ساحة المسلمين ليحل هؤلاء مكانها.

وهذا يؤكد أن الاستشراق الحديث - كالأستشراق القديم - يقوم بنشر منهجه وأفكاره بواسطة بعض أبناء المسلمين من المتغربين أو المغترين.

فالتيار (الليبرالي) يمثل خطورة على الدعوة الإسلامية؛ «التواصي معتنقيه على زعزعة ثوابت الأمة وتشكيكهم في مسلماتها التي لا يمكن لدينها أن يقوم بدونها، (فالليبراليون) وإن اختلفت نظرتهم إلى الدين إلا أنهم يجتمعون على أنه سبب تخلف المسلمين عن ركب الحضارة الغربية، نبذاً للدين من أساسه عند طائفة منهم، أو تشكيكاً في ثبات أحكامه وشموليتها لكل مناحي الحياة المختلفة عند آخرين»^(٣)، أو تحريفاً متعمداً لمدلولات نصوصه وأحكامه؛ لتتوافق مع الرغبة الغربية، والأهداف العالمية.

٢- نيلهم من علماء الأمة ورموزها والتطاول عليهم، ومحاولة منعهم من التأثير في حياة الناس:

النيل من العلماء والتطاول عليهم، منهج متبع لدى (الليبراليين)، وتنامى إظهاره في الفترة الأخيرة. ويهدف منهج النيل إلى تشويه صورة العلماء والدعاة لدى العامة^(٤)، ويحاول عزل

(١) المرجع السابق، ص ١٣.

(٢) ينظر: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٣) موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، ص ١٠.

(٤) ينظر: "الليبراليون في عصر النبوة"، عبد الملك عبد الله آل ملفي، موقع صيد الفوائد:

تأثير العلماء عن الحياة العامة، وحصر مهمتهم في الجانب الوعظي^(١). وهذا من ألام المسالك التي تسربت إلى بعض ديار الإسلام من بلاد الكفر؛ حيث تُنصب مشائق التجريح للشخص الذي يراد تحطيمه، والإجهاز عليه بما يُلوث وجه كرامته^(٢). ويأخذ هذا المسلك صوراً متعددة، يحاول فيها المترصد للعلماء والدعاة أن يتصيد كل شيء، فإذا لم يجد شيئاً، جعل الحق الذي يقولونه مأخذاً ومسبة، وصار يكتب المقالات، ويتكلم في المجالس والمقابلات، ساباً ومتنقصاً.

ويرى بعض (الليبراليين): أن الدين عائق رئيس أمام التقدم، ويعمل على إعادة إنتاج التخلف؛ فلا بد إذن من رفض العلماء والاستغناء عنهم، ومنع تأثيرهم في الحياة السياسية والاجتماعية؛ ورفض النظرة الشرعية تجاه الغرب؛ ورفض الأفكار الداعية إلى المحافظة على الخصوصية والهوية والتراث^(٣).

كما يضع بعض (الليبراليين) للدخول في المعاصرة شرطاً رئيساً، هو: الخروج من كل تَكُون ثقافي يتعارض مع شروط العصر أيّاً كان مظهر هذا التكون الثقافي^(٤).

وبما أن النيل من العلماء والدعاة صار منهجاً ثابتاً لدى (الليبراليين) ومن سار نحوهم، فإنه ينبغي أن تكون لدينا ردود أفعال إيجابية مناسبة وقوية لصالح أي عالم أو داعية يتعرض لتشويه السمعة والنقد المغرض، فمن ذلك منحه جوائز معتبره، ذات بعد إعلامي واسع، كالجوائز العالمية، أو غيرها من الأعمال التي يمكن أن تَرُدُّ للعالم اعتباره.

(١) ينظر: الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١٠٧.

(٢) تصنيف الناس بين الظن واليقين، بكر بن عبد الله أبو زيد، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٤هـ)، ص ١٤.

(٣) ينظر: الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١٣٦-١٤٣.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص ١٣٠-١٣١.

٣-وقوف (الليبراليين) ضد شعيرة الجهاد في سبيل الله تعالى، وضد عقيدة الولاء والبراء:

من أبرز دعوات (الليبراليين) في هذا الزمن: دعوة الشعوب الإسلامية المحتلة إلى التخلي عن خيار المقاومة نهائياً، والاستسلام للمحتل وعدم محاربتة، والقيام بتوجيه أشد أنواع النقد لكل عمل من أعمال المقاومة، كما يدعون إلى إلغاء تدريس أحكام الجهاد^(١).

هذا التوصي بترك الجهاد وترك كل ما يدعو إليه، هو ديدن المنافقين من قبل، قال الله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(٢). ويتبع دعوة التخلي عن الجهاد، الدعوة إلى ترك البراء من الغرب؛ لأن البراء يعزز العقيدة لدى المسلم بما يجعله ندًا حقيقياً للغرب و(الليبراليين)^(٣)؛ فيرفض كل ما يرفضه الإسلام، فضلاً عما ينافيه ويهدم كيانه^(٤).

كما يرى (الليبراليون) أن عقيدة البراء عند المسلمين ناتج عن ظروف سياسية واجتماعية معينة، وهي لم تعد قائمة الآن، فيجب تغييرها^(٥).

ولا يقفون عند هذا الحد، بل ينساقون إلى موالات الغرب، ويتخذون موقفاً مؤيداً لسياساته^(٦)؛ ويعترف الغرب بهذه الموالات، جاء في مؤتمر لـ(راند) عقد في (جنيف) عام ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م: «يُعَدُّ (الليبراليون) مؤالين للولايات المتحدة، أو من أنصار الغرب»^(٧).

(١) "الليبراليون في عصر النبوة"، عبد الملك عبد الله آل ملفي، موقع صيد الفوائد:

<http://saaid.net/mktarat/almani/59.htm>

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨١.

(٣) ينظر: الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١١٣.

(٤) المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، ص ١٢.

(٥) حقيقة الليبرالية، ص ٤٩٢.

(٦) ينظر: الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١١٧.

(٧) The Middle East : The Changing Strategic Environment. (conference) F. Stephen Larrabee, (Santa Monica ,Rand, 2006). P. 18.

ويكون أصحاب هذه الدعوات بذلك قد وفّوا بالشروط المطلوبة للدخول في عضوية الشبكات، بما يتيح لهم تلقي الدعم الغربي بأنواع متنوعة.

وقد غني القرآن الكريم بتقرير عقيدة الولاء والبراء أشد من بعض أركان الإسلام. فالمعرضون عن هذه العقيدة العظيمة، المهاجمون لها، هم معرضون عن كتاب الله تعالى، وعن تدبر آياته، قد نبذوه ونبذوه.

وتوصّل باحثٌ - بعد أن قرر أهمية عقيدة الولاء والبراء في حياة الأمة - إلى «أن الأمة لم تسقط فريسة للغزو الفكري والتنصير وتفتح أبوابها على مصراعيها لكل مخرب، وتصبح تابعة لقوى الشر والكفر إلا بعد أن حُطمت تلك العقيدة في نفوس المسلمين»^(١).

٤- الرغبة في جعل العالم كله على المذهب (الليبرالي):

يُعد سقوط الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية انتصارًا (لليبرالية)؛ مما أدخل العجب والغرور في نفوس الغربيين؛ ليقوموا بتحويلها إلى فكر عالمي، يتم تطبيقه على العالم بأكمله من خلال مؤسسات (هيئة الأمم المتحدة)، وهي ما عرف ب(العولمة)^(٢)، ومن خلال غيرها من المؤسسات والمبادرات الدولية.

وبسبب هذا الانتصار ذهب بعض المفكرين الأمريكيين يرؤجون (لليبرالية) على أنها نهاية التاريخ، وأنه لا يمكن لأي نظام أو مذهب أو دين أن ينافسها، بل هي تمثل غاية التطور البشري، وتُقدم الحلول المثلى للعالم^(٣).

(١) أثر أهل الذمة الفكري في الدولة العثمانية في الفترة من (٩٢٦-١٣٤٣هـ)، ماجد بن صالح المضيان، رسالة ماجستير غير منشورة، (مكة المكرمة، جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤١٦هـ)، ص ٤١١.

(٢) ظهر مصطلح (النظام العالمي الجديد) بعد انتهاء الحرب الباردة مع الاتحاد السوفييتي، ولم يلبث أن تغير بعد مجيء الرئيس الأمريكي (بيل كلينتون) إلى تسمية جديدة هي (العولمة)، وتُعرف بأنها: ظاهرة تتحرك باتجاه تعميم الأنموذج (الليبرالي) بأنواعه على العالم تحت قيادة الولايات المتحدة. معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٣) من هؤلاء المفكرين: (فرانسيس فوكوياما)، الذي بنى كتابه (نهاية التاريخ) على هذه المعاني.

وانتشرت الحروب والصراعات الدموية لإخضاع بقية الأمم للعمولة وحماية السوق الاقتصادية (الليبرالية) بالقوة^(١).

ف(الليبرالية) مذهب يراد له «أن يكون مذهب العالم أجمع من خلال الإغراء الإعلامي، أو الضغوطات السياسية، أو المقاطعة الاقتصادية، أو العدوان العسكري المسلح.

والفكر (الليبرالي) فكر استعماري يريد الهيمنة على العالم؛ فهو يعتمد على الفردية الأنانية، والتنافس، واعتبار القوة هي معيار الحق والصواب»^(٢).

«وتتحرك (الليبرالية الجديدة)^(٣) في إطار عام يسمى بظاهرة العمولة، التي توظفها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية لتعظيم منافعها الاقتصادية بفتح الأسواق الخارجية لمنتجاتها ودمج اقتصاديات دول العالم في الاقتصاد العالمي بقيادتها، وذلك من خلال الاستثمار في تلك الأسواق لتوحيد اقتصاديات العالم. إلا أن ذلك يتعدى المجال الاقتصادي، ليشمل مجالات أخرى، إذا تعمل الولايات المتحدة على توحيد العالم أيضًا من النواحي السياسية بنشر (الديمقراطية الليبرالية) وكذلك الحال في النواحي الفكرية والثقافية»^(٤).

«وخطورة العمولة الثقافية أنها صارت تنشر أفسد الأفكار والعقائد والأخلاق والعادات بأحدث التقنيات وأسرع طرق الاتصالات، وهو ما يجعل كلمة (عمولة الثقافة) تعبيرًا واقعيًا»^(٥).
«ولأن (الليبرالية) تسعى لأمية الفكر وانتشاره، فهي تتعامل مع سائر المؤثرات الغيبية على العقول بالتعامل الواحد، فهم يرون كل الأديان -ومنها الإسلام- من المتحكمات بتصرفات الناس»^(٦).

(١) حقيقة الليبرالية، ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٧.

(٣) ترتبط (الليبرالية القديمة) أكثر بالفكر الأوروبي، بينما ترتبط الجديدة أكثر بالفكر الأمريكي وممارساته، وبخاصة بعد تفرد الولايات المتحدة بزعامة العالم. معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص ١٩١.

(٤) الليبرالية في السعودية والخليج، ص ٣١-٣٢؛ وينظر: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص ٢٢١.

(٥) معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص ٢٥٦.

(٦) العقلية الليبرالية، ص ٥٦-٥٧.

وقد يدعم جهود العولمة «أن (الليبرالية) اليوم هي «موضة»»^(١) مسيطرة على الأذواق الفكرية والسلوكية، فضلاً عن نفوذها بوصفها نظام حياة في الواقع بوجود قوى دولية مهيمنة تعمل على تشميلها، وفرضها بوصفه نموذجاً مجتمعياً بأسلوب الهيمنة والإلزام؛ وككل «موضة» فإنه يصعب على الفكر المنبهر، والذوق المنتشي بها أن يرى غيرها، فضلاً عن أن يقتدر على استهجانها أو نقدها. كما أن الوعي النقدي الذي يتقصد معارضتها يستشعر صعوبة إنجاز موقفه، وحتى إن نطق يستشعر خفوت صوته المعارض. لكن كل هذا لا يعني بالضرورة أن لا بديل عنها»^(٢).

تلك الرغبة الغربية في سوق العالم إلى نظامه، وجد لها الغرب دعاة بين المسلمين من (الليبراليين)، يزعمون أننا لا نملك برنامجاً حضارياً متكاملًا قادرًا على مواجهة المشروع الحضاري الغربي؛ مما سيؤدي بنا إلى ذوبان هويتنا ونصبح جزءًا من الهوية الغربية، بدلاً من أن نتمثل نحن مشروعه الحضاري ونجعله جزءًا من هويتنا»^(٣).

فقد ساعدت التحولات الدولية بعد أحداث ١١/سبتمبر على غلبة المنظور (الليبرالي) ببعديه السياسي والاقتصادي على مستوى عالمي؛ مما جعل الخطاب (الليبرالي) العربي في هذه الفترة أكثر جرأة في طرح مشروعه^(٤). وهو مشروع «يقوم على نقد الواقع وتغيير خصائصه ومقوماته وأسس؛ لهدف استيعاب النموذج الغربي فقط، دون نظرة علمية تقوم على أسس معرفية واضحة بينة لفهم الواقع وقضايا واحتياجاته وإمكانياته»^(٥).

(١) (الموضة) كلمة معرّبة، وهي: "نمط يولع به الإنسان مدّة ثم يزول". ولها معنى آخر يتعلق باللباس. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، (بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ)، ٢١٣٩/٣ مادة: (موضة).

(٢) نقد الليبرالية، ص ١٧٧-١٧٨.

(٣) ينظر: الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١١٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٧٢.

(٥) نفسه، ص ١٩٨-١٩٩.

وكما انتهزت الولايات المتحدة أحداث ١١/سبتمبر لتحقيق جملة من أهدافها في العالم، فقد انتهز (الليبراليون) في البلدان الإسلامية هذه الأحداث في محاولة لتحقيق رؤاهم في المجتمع ونشر فكرهم فيه، وأطلقوا لأنفسهم العنان في محاولة لتسريع وتيرة مشروعهم (الليبرالي)، وتأكيدهم على أن المرحلة التالية مرحلة الانتقال نحو ذلك المشروع^(١).

إن (الفكر الليبرالي) فكر ظالم يستعبد الشعوب الضعيفة، وهو فكر احتراي لا يوقفه إلا (المقاومة)، من خلال جهاده عندما يحتل بلدًا إسلاميًا، أو بالاحتساب عليه عندما يمارس ضغوطًا سياسية أو اقتصادية على البلاد الإسلامية، أو من خلال الكشف عنه عندما يدعم عملاءه، لتحقيق مآربه وأفكاره^(٢).

٥-مطالبة (الليبراليين) بنفس المطالب الغربية:

إذا كانت ((الليبرالية) دخلت إلى العالم الإسلامي عن طريق الاستعمار وعملائه من الأحزاب والجمعيات السرية^(٣))، فلا عجب أن تكون مطالب أتباعها نفس المطالب الغربية. ويظهر (الليبراليون) اليوم ((الوقوف في صف المشروع الأمريكي في المنطقة، والمطالبة بما يريد به ويسعى له، مثل: تغيير مناهج التعليم، واستعمال القوة العسكرية لتغيير الأنظمة العربية، وفرض الديمقراطية عن طريق الاحتلال المباشر لهذه الدول^(٤)).

وقد تتبّع د. عبد الرحيم السلمي آراء تيار (الليبراليين الجدد)، فوجد ((أنه تيار عميل للدول الاستعمارية، وخاصة الولايات المتحدة، ولا يخرج عن آرائها... وهذا يؤكد أن هذا التيار عبارة عن احتياطي إعلامي يستعمله الأمريكيون لتسويق أفكارهم وسياساتهم، وجناح فكري، ورافد ثقافي لمشاريعهم في المنطقة الإسلامية^(٥)).

(١) نفسه، ص ٨٧-٨٨.

(٢) حقيقة الليبرالية، ص ٦١٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٦١٧.

(٤) نفسه، ص ٤٩١.

(٥) نفسه، ص ٤٩٢-٤٩٣.

وتؤكد رسالة ماجستير، درست (الليبرالية) في الخليج: أن (الخطاب الليبرالي الخليجي) يقوم بوظيفة دعائية للمشروع (الليبرالي) الغربي، فالمقولات والمسلمات والقضايا في الخطاب تُمثل تبريراً فكرياً وعقائدياً لمقولات القوى الغربية وسياساتها، التي تسعى لجعل المنظور السياسي، والثقافي، والاقتصادي، والاجتماعي للغرب سقفاً للعالم، عليه أن يسعى ليصل إليه^(١). «(فالليبرالي) يرى دائماً الوجه الإيجابي من الحضارة الغربية، فهو يعتبرها قادرة دائماً على تجاوز أخطائها إن حدثت»^(٢)، ويُعرض صفحاً عن الوجوه السلبية لها، التي دمرت النفس البشرية تدميراً بالغاً قبل أي شيء آخر. كما أنه يدير ظهره لحضارة الإسلام ولا يراها شيئاً، وإذا التفت إليها كان التفاته سلبياً ثالِباً لها.

٦- معاداة (الليبراليين) في البلدان الإسلامية لمفهوم (الدولة الإسلامية)^(٣).

من المفارقات: أن (الليبراليين) الأوائل في الغرب «كانوا ضد الديمقراطية، ويرون أن الاستبداد العادل يحقق الحرية أكثر من الديمقراطية، ولكن الأمر اختلف عند (الليبراليين) المتأخرين الذين تبنوا الديمقراطية ودافعوا عنها»^(٤).

فصار «العقل (الليبرالي) لا يؤمن بحكم الواحد المنفرد على الجماعة والأمة، لا فرق بين الفرد النبي ولا الفرد غير النبي، ولا يؤمن بوضع دين يضبطه، وإنما يؤمن بأن يَحْكُم العقل نفسه بنفسه، فيجتمع الأفراد على وضع نظام وحاكم يجتمع عليه كلهم أو بعضهم، تحت ما يُصطلح عليه بالانتخابات والبرلمانات، وهي لا تؤمن بالملك المتوارث فضلاً عن الملك الظالم المستبد... وتسعى (الليبرالية) إلى تنحية تحكيم أي شيء غير العقل في شأن الفرد والجماعة، وعلى هذا يؤصلون -بصورة احترام- تنحية أي دين عن الحياة، والسياسة، والحكم، والقضاء، والاقتصاد»^(٥).

(١) الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٦-١١٧.

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 72

(٤) حقيقة الليبرالية، ص ١١٢.

(٥) العقلية الليبرالية، ص ١١٩.

«لذا نجد أن (الخطاب الليبرالي)... يقرر أن التخلف المعيق للتقدم في الحياة يكمن في الحركات الدينية الرافعة لشعار الإسلام»^(١). و«أن تحقيق التقدم لن يتم دون عزل السياسة عن الدين»^(٢).

ومن يدرس نشأة (الليبرالية) ومطالبها، يجد أنها تؤصّل لمنهج الخروج على الحكم وتغييرهم، فقد سعت في نشأتها إلى التغيير الثوري في أوروبا، وعارضت السلطة المطلقة للحكم الملكي فيها، وما فتئ بعض دعاة اليوم ينادون بذلك.

«ف عجيب أمر من يريدون التحرر من الدين لأجل الدنيا في بلاد المسلمين! إن لسان حالهم يقول بتحريفه أو انحرافه كما كان الشأن عند من اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله. لقد انبهر هؤلاء بما أصبح عليه حال الكفار بعد التخلي عن أديان الكفر، فنظروا إلى كسبهم الدنيا دون أن ينظروا إلى خسارتهم الدين والدار الآخرة»^(٣)، وما يتبعهما من خسارة الدنيا كذلك.

٧- رغبة (الليبراليين) في إقامة ديمقراطية على الطريقة الغربية:

يؤكد كثير من (الليبراليين) أن (الديمقراطية الليبرالية) أفضل فكرة تعامل بها الإنسان على مر السنين قديماً وحديثاً. وتُعدُّ محوراً وجوهراً لأي إصلاح سياسي ينشد التقدم والتطور. وأنها لم تعد خياراً مقصوداً على الغرب المتحضر، ولا الشرق الأقصى الناهض، بل أصبحت خياراً عصرياً يرتبط بالمعاصرة من حيث هي سياق حضاري عام ينتظم الجميع^(٤).

(١) الليبرالية في السعودية والخليج، ص ٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٣) معركة الشوايت بين الإسلام والليبرالية، ص ١٠.

(٤) ينظر: الليبرالية في السعودية والخليج، ص ١٢٠-١٢٢.

المطلب الرابع : سبل مواجهة (الليبراليين) وغيرهم من المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة:

دين الله تعالى محفوظ مهما تكالب عليه الأعداء، ومهما بذلوا من جهود لإطفاء النور ونشر الظلام، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١). وكان الله تعالى يبعث الرسول عليه السلام ويكل حفظ الدين إلى الناس، فإذا مات الرسول عليه السلام ثم كادت أن تندرس علومه بعث الله رسولا آخر، حتى جاء موسى عليه السلام، ثم حرف اليهود دينه، فبعث الله عيسى عليه السلام ليصحح الدين ويكمّله ويشر بنبوة خاتم النبيين، ولما بعث نبينا ﷺ وأنزل الله تعالى عليه الذكر، تكفل سبحانه بحفظه وحفظ دينه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٢)، وما يقوم به العلماء والدعاة اليوم من الذب عن الدين ونصرتة هو جزء من حفظ الله تعالى لدينه.

قال ابن تيمية رحمه الله: «يتغير الدين»^(٣) بالتبديل تارة، وبالنسخ أخرى، وهذا الدين لا ينسخ أبداً، لكن يكون فيه من يدخل من التحريف والتبديل والكذب والكتمان ما يلبس به الحق من الباطل، ولا بد أن يقيم الله فيه من تقوم به الحجة خلقاً عن الرسل، فينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فيحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون»^(٤).

إن نشاط الدعوات الهدامة في هذا العقد، وتبني الغرب دعمها بقوة، وفي مجالات كثيرة، يرتبط بمجموعة مصالح غربية وصهيونية، فهناك مصالح سياسية كبرى، واقتصادية، وعسكرية، واستهداف لدين الإسلام، واستعمارية، وغيرها.

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) أي: عموم الأديان السماوية.

(٤) مجموع الفتاوى ٤٣٥/١١.

ولا ينشط (الليبراليون) ومن في حكمهم من أهل البدع والزيغ والضلالة إلا في حالات الضعف التي تمر بها الأمة، ولا يزرعون بذور الفجور إلا إذا هبَّت ريح الأجنبي، واستوقد العدو ناره وزاد ضرامها، عندئذ يلتفون، ويتنادون، ويستبشرون بضوئها، فكلما أضاء لهم العدو طريقًا مشؤوا فيه، وإذا أظلم عليهم سقطوا كهشيم مختضر^(١).

وهم في الحقيقة من يقودون التسلل الناعم، الخفي والجلي؛ لإحلال القيم الغربية في المجتمعات الإسلامية، في جميع المجالات، في الأنظمة السياسية والاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية، والحياة الأسرية، وغيرها؛ وجميعها تفرز لنا ألوانًا لا نهاية لها من الضلال، والكفر، والإلحاد، والردة، والنفاق، والانحلال الأخلاقي، والتفكك الأسري والاجتماعي، والانفلات الأمني، وغيرها من التغيرات السلبية.

وإن الارتباط القوي لأعمال المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة بتحقيق مصالح كبرى للغرب يبين قوة الهجمة على الإسلام، مما يستدعي يقظة المسلمين للدفاع والمواجهة. وينبغي أن تقوم هذه اليقظة على أسس منهجية بعيدة المدى؛ فعندما نسمع أو نرى - في الآونة الأخيرة - حالات متتابة متكررة من الارتداد عن دين الله في بلاد الحرمين وما جاورها، فليس هذا إفرازًا طبيعيًا من إفرازات وسائل الاتصال الحديثة فحسب، بل لأن خلفه رعاة على مستوى دولي يراعون حدوثه وتقدمه وتصاعده، وهو من أهم الأهداف التي تُكَوَّن لأجله الشبكات. فليست الحوادث المتكررة سحابة صيف عما قريب ستنجلي، بل هي نتاج عمل منهجي دائم؛ وهذا يؤكد أهمية أن تقوم المواجهة على أسس منهجية، تجمع بين مراعاة المصالح ودفع المفساد، وتنطلق من كافة منابر التربية والتعليم، والدعوة الإرشاد، والتثقيف والإعلام، وجميع مؤسسات التأثير في المجتمع.

(١) تحولات النخب، ص ١٨.

أهداف مواجهة (الليبراليين) وغيرهم من المخالفين:

لمواجهة (الليبراليين) وغيرهم من المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة أربعة أهداف رئيسة^(١):

١- إعلاء كلمة الحق. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

٢- إزهاق الباطل. فمتى علا الحق وظهر فإن الباطل يزهد، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٣).

٣- كسب المخالف. فإن مقصود الدعوة إلى الله تعالى هداية الخلق، وتحبيب الصراط المستقيم إليهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٤).

٤- المعذرة أمام الله تعالى. قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾^(٥).

ركائز سبل المواجهة:

لما ظهرت الأهواء في آخر عهد الصحابة رضي الله عنهم تكلموا في بدعها، وأشخاصها على سبيل التحذير، بالمناظرة، وإقامة الحجة، والرد، والدفاع عن السنة، وكشف الباطل، وبيان زيف شبهاته، وتحصين الأمة من دعائه بالهجر، والتغريب، والضرب، والحبس، والقتل. وسار على هذا النهج التابعون من بعدهم وأئمة السنة رحمهم الله تعالى، وكانت عنايتهم بهذا الجانب

(١) ينظر: فقه التعامل مع المخالف، د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، (الرياض، دار الوطن، ١٤١٥هـ)، ص ٢٥-٢٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٦٤.

(٥) سورة النساء، من الآية: ١٦٥.

كبيرة؛ لما ظهر من كثرة البدع والأهواء والفرق، فأنشأوا المصنفات، واتخذوا كل ما استطاعوا من الوسائل والأساليب الشرعية في الرد والبيان وحماية الدين^(١).
وتقوم سبل مواجهة (الليبراليين) وغيرهم من المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة، إجمالاً على: الثبات على الحق؛ ومضاعفة جهود الدعوة إلى الله تعالى؛ ودعوة المخالفين إلى منهج أهل السنة والجماعة؛ والرد عليهم، ومناظرتهم؛ وهجرهم؛ والاحتساب عليهم؛ وإقامة حد الردة على مستحقه.

كما يندرج تحت سبل المواجهة ما سيرد من مقترحات في آخر مبحث الإعلام؛ إذ الإعلام من أهم الوسائل التي ينشر فيها أصحاب المذاهب الباطلة انحرافهم.
وفيما يلي تفصيل ركائز سبل المواجهة:

١- الثبات على الحق، والصبر والمصابرة عليه، والحذر من تقديم التنازلات:

فقد أوصى الله تعالى عباده بالثبات على الصراط المستقيم، وعدم اتباع السبل المضلة، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢).

ونهى الله تعالى نبيه وصفيه ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين، وأمره باتباع ما يوحى إليه من ربه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾^(٣) وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾^(٣).

ومن نعم الله تعالى على عباده المؤمنين أن أنزل آيات تتلى في كتابه الكريم، تخبر عن

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ١/٧-٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ١-٢.

أحوال المنافقين^(١) - سواء تسموا بـ(الليبراليين) أم بالعلمانيين^(٢) أم بغيرهما - فقد أكثر الله العظيم من فضيحتهم، وكشف أحوالهم، وهتك أستارهم، وبيان صفاتهم المطردة إلى يوم القيامة؛ لأنهم شر من الكفار الصرحاء، وأعظم خطراً في كل زمان ومكان. وهم في الحقيقة مطايا اليهود منذ ظهورهم على عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها؛ فلهذا فضحهم الله لعباده المؤمنين في سور كثيرة مبتدئاً بسورة البقرة^(٣).

وكما أن هذا الإخبار نعمة فإن فيه تهديداً للمؤمنين من سلوك مسالكهم، وأن يغزو قلوبهم ما يغمسهم فيما انغمس فيه المنافقون؛ ولذا كان السلف الصالح من أشد الناس خوفاً من النفاق^(٤).

ومن النعم أن النبي ﷺ بيّن صفات المنافقين وعلاماتهم وجلّأها للمؤمنين، وأورد فيهم الأمثال مزيد تأكيد لبيان أحوالهم؛ ليحذّرهم المؤمنون، ويكونوا أكثر حيطة لدينهم. وثبت عن النبي ﷺ أنه «كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين»^(٥). وسار الخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم من بعده ﷺ على ذلك^(٦). قال النووي رحمه الله: «والحكمة في قراءة... سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم، وتنبههم على التوبة، وغير ذلك»^(٧).

(١) النفاق: "أن تُظهر الإسلام وتُخفي الكفر". شرح السنة، الحسن بن علي بن خلف البرهاري، تحقيق

عبد الرحمن بن أحمد الجميزي، ط ٢، (الرياض، مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٨هـ)، ص ٦١.

(٢) (الليبراليون) والعلمانيون: يسمون في العصر النبوي : المنافقون، وفيما بعده : الزنادقة. لمحات في العقيدة، عبدالعزيز بن عبد الله الراجحي، شريط سمعي.

(٣) ينظر: النفاق: آثاره ومفاهيمه، ص ١٨-١٩، ٢٥، ٥٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٥.

(٥) مسلم ٥٩٩/٢، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في يوم الجمعة، ح ٨٧٩.

(٦) ينظر: مسلم ٥٩٧/٢، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، ح ٨٧٧.

(٧) المنهاج، ص ٦٩٥.

وقال ابن عثيمين - رحمه الله - عن الحكمة من قراءتها: «من أجل أن يصحح الناس قلوبهم ومسايرهم إلى الله تعالى كل أسبوع، فينظر الإنسان في قلبه، هل هو من المنافقين أو من المؤمنين؟ فيحذر ويظهر قلبه من النفاق. وفيه أيضاً فائدة أخرى: أن يقرع أسماع الناس التحذير من المنافقين كل جمعة؛ لأن الله قال فيها عن المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾^(١)»^(٢).
فالثبات على الحق، والصبر عليه، والحذر من المنافقين ومداخلهم: من أوليات سبل المواجهة.

٢- مضاعفة جهود الدعوة إلى الله تعالى:

هناك تلازم بين الدعوة إلى الله وهداية الناس وفشو العلم؛ وتلازم بين ترك الدعوة وظهور الجهل وانتشار الضلال.

وقد بين النبي ﷺ ما يترتب على الدعوة إلى الله تعالى وهداية الخلق من عظيم الأثر وجزيل الثواب، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم»^(٣).

قال ابن تيمية رحمه الله: «المرصدون للعلم، عليهم للأمة حفظ الدين وتبليغه؛ فإذا لم يبلغوهم علم الدين، أو ضيعوا حفظه؛ كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَيِّنَتِهِ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾^(٤). فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها؛ فلعنهم اللاعنون حتى البهائم»^(٥).

(١) سورة المنافقون، من الآية: ٤.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، (الرياض، مؤسسة أسام للنشر، ١٤١٦هـ)، ٩٠/٥-٩١.

(٣) متفق عليه: البخاري ٩١/٥، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٤٢١٠؛ ومسلم ١٨٧٢/٤، كتاب كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي رضي الله عنه، ح ٢٤٠٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

(٥) مجموع الفتاوى ١٨٧/٢٨.

وإذا انتشرت الدعوة فشا العلم بين الناس وقل الجهل، «وإنما يعمل أهل الباطل وينشطون عند اختفاء العلم وظهور الجهل، وخلو الميدان ممن يقول: قال الله، وقال الرسول، فعند ذلك يستأسدون ضد غيرهم، وينشطون في باطلهم؛ لعدم وجود من يخشونهم من أهل الحق والإيمان وأهل البصيرة»^(١).

ويعزو ابن تيمية سبب كثرة المخالفين لأهل السنة والجماعة في زمانه إلى قلة دعاة العلم، قال -رحمه الله-: «وهؤلاء الأجناس وإن كانوا قد كثروا في هذا الزمان؛ فلقلة دعاة العلم والإيمان، وفتور آثار الرسالة في أكثر البلدان»^(٢).

ويؤكد ابن القيم أن من أسباب فشو البدعة: تقصير أهل الحق في بيان السنة، قال -رحمه الله-: «ما وقع في هذه الأمة من البدع والضلال كان من أسبابه: التقصير في إظهار السنة والهدى»^(٣) هـ.

ومن مضاعفة جهود الدعوة إلى الله تعالى: القيام بإنشاء الوسائل الدعوية المناسبة، الكفيلة بالتغلب على وسائل المخالفين وجهودهم، كالمدارس، والقنوات الفضائية، والإذاعات، والصحف، ونحو ذلك.

إن القيام بتكثيف الدعوة العامة لسائر الناس، وقيام الدعاة والمؤسسات الدعوية بجهود مضاعفة في الدعوة إلى الله تعالى، هو من أنجح الوسائل وأجداها على المدى الطويل في مواجهة المخالفين وهدايتهم، وتقوية الموافقين وتحسينهم.

٣- دعوة المخالفين إلى منهج أهل السنة والجماعة:

من الواجبات على العلماء والدعاة: دعوة المخالفين إلى الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٤). فبيّن سبحانه ما

(١) أهمية العلم في محاربة الأفكار الهدامة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٣هـ)، ص ٦.

(٢) مجموع الفتاوى ١٦٥/٣٥.

(٣) الصواعق المرسلّة ١١٣٣/٣.

(٤) سورة النحل، من الآية: ١٢٥.

يدعو إليه الداعي، ولم يبين من يُدعى؛ ليشمل كل أحد. وبين سبحانه طريقة الدعوة، وهي بحسب حال المدعو، فمنهم من يُدعى بالحكمة، ومنهم من يدعى بالموعظة الحسنة، ومنهم من يُجادل بالتي هي أحسن.

قال ابن باز رحمه الله: «نوصي إخواننا جميعاً بالدعوة إلى الله سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن؛ كما أمر الله سبحانه بذلك مع جميع الناس، ومع المبتدعة إذا أظهروا بدعتهم، وأن ينكروا عليهم، سواء كانوا من الشيعة أو غيرهم»^(١) هـ.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يعض المنافقين ويقول لهم قولاً بليغاً: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾^(٢).

قال ابن القيم رحمه الله عن سيرة النبي ﷺ مع المنافقين: «وأما سيرته في المنافقين، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة، وأمره أن يعرض عنهم، ويغلظ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهاه أن يصلي عليهم وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم، فلن يغفر الله لهم»^(٣).

وينبغي إعلام جميع المخالفين «أن الرابطة الحقيقية والدعامة الصالحة الثابتة هي رابطة الدين ودعامته، وأن النداء بأي رابطة غير الإسلام من الروابط القومية والمذاهب المادية ممنوع بإجماع المسلمين ولا يجوز قطعاً، بل هو إما أن يكون معصية كبيرة وإثماً عظيماً، أو يكون شركاً مخلاً بأصل العقيدة ومضاداً لها»^(٤).

ومما ينبغي أن يُبرزه الدعاة إلى الله تعالى: «ضرورة اجتماع الأمة الإسلامية على منهج أهل السنة والجماعة، ونزد الفرق والاختلاف، والتميز بين الخلاف الذي يعذر صاحبه به، والذي

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمع د. محمد بن سعد الشويعر، (الرياض، دار القاسم، ١٤٢٠ هـ)، ١٧٦/٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٣) زاد المعاد ١٦١/٣.

(٤) للحق والحقيقة من كلام خير الخليفة، ص ٤٧.

لا يعذر به، والحرص على الاجتماع ولمّ الشمل، والبعد عن التحزب والعنصرية فهي سبب الضعف»^(١).

فهذه المذاهب والفرق من (ليبرالية)، وعلمانية، وصوفية، وغيرها من فرق الضلال، ما خرج منها وما سيخرج، كلها من وحي شياطين الجن والإنس، وهي مهما اتسمت بسمة الدين أو المادة، أو تسترت باسم الحرية والفلسفة وما إلى ذلك، منشؤها السياسة الفاجرة الماكرة بالدين وأهله؛ ليجعلوهم شيعةً وأحزابًا متناحرة، ولو جهل بعض حملتها فإن المؤسسين لها في الأصل - هذا قصدهم - ولهم غايات من وراء ذلك، حملتهم عليها حاجات في صدورهم، فاندفعوا إلى ما يريدون بكل حماس، واتبعهم كل موتور، ومن يرى أنه مكبوت أو قلبه ملتهب بالحقد على منافسيه أو من هم أعلى منه، وساعدتهم المرتزقة والفوضوية؛ فهكذا تكثر سبل الشياطين وتُتبع، ويقل سالكو الصراط المستقيم بسبب فتنة أولئك^(٢).

ومنهج أهل السنة والجماعة هو الرد إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة نبيه ﷺ، ومعلوم أن الأفكار الهدامة والمبادئ الضالة والمذاهب المنحرفة كثيرة، والملبّسون للحق بالباطل لا يحصون، وكذلك دعاة الباطل، فقد ظهروا في كل مجال، كل منهم يدعو إلى نحلته، وينادي إلى فكرته، ويميّ غيرهِ ويدعوه إلى الباطل، ولا مخرج من هذه المحن، ولا طريق للتخلص منها والقضاء عليها إلا بعرضها على هذا الميزان العظيم: الكتاب والسنة؛ ففي عرضها على هذا الميزان العظيم تمحيصها، وبيان حقها من باطلها، ورشدها من غيها، وهداها من ضلالها؛ وبذلك ينتصر الحق وأهله، ويندحر الباطل وأهله^(٣).

وكان السلف الصالح «أحرص الناس على وفاق، وكانوا كلما طاف بهم طائف الخلاف في مسألة دينية بادروه بالرد إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله، فانحسم الداء، وانجابت الحيرة»^(٤).

(١) حقيقة الليبرالية، ص ٦٢١.

(٢) ينظر: اليهودية والماسونية، ص ١١٤-١١٥.

(٣) أهمية العلم في محاربة الأفكار الهدامة، ص ٩-١٠.

(٤) الطرق الصوفية: مقتطفات من تصدير نشرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، محمد البشير

الإبراهيمي، (القاهرة، مكتبة الرضوان، ١٤٢٨هـ)، ص ٢٥.

وما دام أن الغرب قد عزم بقوة الآن على بعث الانحرافات الزائغة عن منهج أهل السنة والجماعة، فإن المسؤولية باتت عظيمة على الكليات الشرعية، والعلماء الربانيين، بأن يُعنوا بتخريج جمع من الدعاة مختصين بدعوة أهل هذه الانحرافات، عالمين بأحوالهم، وما هم عليه، خبيرين بكتبهم ومراجعهم، ومناهجهم وأساليبهم، عارفين بطرق دعوتهم وردّهم إلى الحق. «وهكذا بدعوة المخالفين لأهل السنة، تظهر السنة، وتموت البدعة، ويوقى العامة شرها، ويظهر ضعف حجة المخالف، ويذب عن حياض الدين، وينكشف ما يلبسه المخالفون على العامة، وبهذا يجتمع الناس على الهدى والاعتصام بحبل الله.. وهو المقصد الشرعي العظيم من دعوة المخالفين لأهل السنة والجماعة من أهل البدع»^(١).

٤- الرد عليهم، ومناظرتهم، وبيان فساد طرقهم، وتحذير الناس منهم:

تشابه أعمال (الليبراليين) والعلمانيين ومطالبهم في المجتمع المسلم، بأعمال المنافقين ومطالبهم^(٢).

وقد أمر الله تعالى - في موضعين من كتابه الكريم - بجهاد المنافقين والإغلاظ عليهم، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جُنْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾^(٣). قال ابن عباس رضي الله عنهما: فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان، وأذهب الرفق عنهم^(٤). قال ابن القيم رحمه الله: «فجهد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عددًا فهم الأعظمون عند الله قدرًا»^(٥).

(١) دعوة أهل البدع، خالد بن أحمد الزهراني، ط ٢، (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٣٠ هـ)، ص ٣٨.

(٢) المنافقون هو الاسم الشرعي الذي يندرج تحته (الليبراليون) والعلمانيون. لمحات في العقيدة، عبدالعزيز بن عبد الله الراجحي، شريط سمعي.

(٣) سورة التوبة، من الآية: ٧٣؛ وسورة التحريم، من الآية: ٩.

(٤) جامع البيان ٣٥٩/١٤.

(٥) زاد المعاد ٥/٣.

وقال بكر أبو زيد رحمه الله : «الرد على المخالفين من أهل الأهواء وغيرهم وظيفة شرعية، من مهام علماء المسلمين؛ لحراسة الملة، والذب عنها، وعن أعراض أهلها»^(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كان النصح واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة: مثل نقلة الحديث الذين يغلطون أو يكذبون... ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم، من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين. ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فسادهم أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً»^(٢).

إن القيام بالرد على المخالفين، «ونقض شبههم، وكشف فتونهم، وتعريتهم، هو من حق الله على عباده، وحق المسلمين على علمائهم، في رد كل مخالف ومخالفته، ومضل وضلالته، ومخطئ ومخطئه، وزلة عالم وشذوذه؛ حتى لا تتداعى الأهواء على المسلمين تعثوا فساداً في فطرهم، وتقصم وحدتهم، وتؤول بدينهم إلى دين مبدل، وشرع محرف، وركام من النحل والأهواء»^(٣).

وإن التصدي لأعمال (الليبراليين) والعلمانيين وأشباههم، مع كونه من الجهاد، فإنه من أشرف الأعمال، فإن العمل يشرف كلما اتسعت الجهات التي يتصل بها، حيث يتضمن التصدي لأعمالهم: النصيحة لله تعالى، ولكتابه العزيز، ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين، ولعامتهم.

(١) الرد على المخالف، ص ١١٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٣١-٢٣٢.

(٣) الرد على المخالف، ص ١٤.

وقد لا يظهر على المخالف علامات النفاق، فإنه يُردُّ عليه أيضًا، ويُحذَر من آرائه، ويكون التعامل معه بحسب ما تقتضيه الحكمة. سئل الشافعي رحمه الله عن الاختلاف المحرم، فقال: «كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصًا مبينًا لم يحلَّ الاختلاف فيه لمن علمه»^(١). وقال البرهاري رحمه الله: «واعلم أن الخروج من الطريق على وجهين؛ أما أحدهما: فرجل زل عن الطريق، وهو لا يريد إلا الخير، فلا يُقتدى بزلته، فإنه هالك. وآخر عاند الحق وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضال مضل، شيطان مريد في هذه الأمة، حقيق على من يعرفه أن يُحذَر الناس منه، ويبين للناس قصته، لئلا يقع أحد في بدعته فيهلك»^(٢). وقال ابن تيمية رحمه الله: «إذا كان أقوام منافقون يتدعون بدعًا تخالف الكتاب، ويلبسونها على الناس، ولم تبين للناس: فسد أمر الكتاب، وبُذِل الدين؛ كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم ينكر على أهله. وإذا كان أقوام ليسوا منافقين، لكنهم سماعون للمنافقين، قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنوا قولهم حقًا، وهو مخالف للكتاب؛ وصاروا دعاة إلى بدع المنافقين، كما قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خَلَلَكُمْ يَبْغُونَكُمْ أَلْفَنَةً وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾^(٣)، فلا بد أيضًا من بيان حال هؤلاء؛ بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم؛ فإن فيهم إيمانًا يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين، فلا بد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم؛ بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق؛ لكن قالوها ظانين أنها هدى، وأنها خير، وأنها دين؛ ولم تكن كذلك، لوجب بيان حالها. ولهذا وجب بيان حال من يغلط في الحديث والرواية، ومن يغلط في الرأي والفتيا، ومن يغلط في الزهد والعبادة؛ وإن كان المخطئ المجتهد مغفورًا له خطؤه، وهو مأجور على اجتهاده، فبيان القول والعمل الذي دل عليه الكتاب والسنة واجب، وإن كان في ذلك مخالفة لقوله وعمله.

(١) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد محمد شاكر، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ٥٦٠.

(٢) شرح السنة للبرهاري، ص ٣٨-٣٩.

(٣) سورة التوبة، من الآية: ٤٧.

ومن عُلم منه الاجتهاد السائب فلا يجوز أن يُذكر على وجه الذم والتأثير له؛ فإن الله غفر له خطأه؛ بل يجب لما فيه من الإيمان والتقوى موالاته، ومحبته، والقيام بما أوجب الله من حقوقه: من ثناء، ودعاء، وغير ذلك. وإن علم منه النفاق، كما عرف نفاق جماعة على عهد رسول الله ﷺ... فهذا يُذكر بالنفاق. وإن أعلن بالبدعة ولم يُعلم هل كان منافقًا أو مؤمنًا مخطئًا دُكر بما يُعلم منه، فلا يحل للرجل أن يقفو ما ليس له به علم، ولا يحل له أن يتكلم في هذا الباب إلا قاصدًا بذلك وجه الله تعالى، وأن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله. فمن تكلم في ذلك بغير علم أو بما يعلم خلافه كان آثمًا^(١).

ومما يجدر التنبيه عليه: أن المخالفين عندما يكونون من أهل السنة والجماعة فإن خلافهم لا يوجب بغضهم، ولا معاداتهم وهجرهم، إلا ما خالفوا بما هو معلوم من الدين بالضرورة. قال ابن تيمية رحمه الله: كان العلماء من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين. ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة. لكن من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافًا لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع^(٢) ١هـ.

وقد قام علماء السلف رحمهم الله تعالى بخير واجب في رد البدع ومقولات أهل الأهواء، قال ابن القيم رحمه الله: «وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البدع وغيرها؛ أقام الله من حزيه وجنده من يردّها، ويحذر المسلمين منها، نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأهل الإسلام، وجعله ميراثًا يعرف به حزب الرسول ووليّ سنته من حزب البدعة وناصرها»^(٣).

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٣٣-٢٣٤.

(٢) ينظر: المرجع السابق ٢٤/١٧٢-١٧٣.

(٣) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ضمن كتاب:

عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، ط ٢، (بيروت، دار الكتب

العلمية، ١٤١٥هـ)، ١٢/٢٩٨-٢٩٩.

وقال في بدعة القول على الله بلا علم: «اشتد نكير السلف والأئمة لها، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم، والعدوان؛ إذا مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد»^(١). هـ.

وقال بكر أبو زيد رحمه الله تعالى: «وقد بلغ جهد المصلحين الجهادي في هذا مبلغاً عظيماً، فلا بسوا الحياة علماً وعملاً، ومَحْصُوا الحقائق، وحَصَّصَ الحق على أيديهم، بمواقف لا تتخذ من الله ولا رسوله وليجة. وهم في هذا الخط الدفاعي، بردم كل مخالفة للدين من داخل الصف أو خارجه، ينطلقون من الأصل العقدي المعلوم في سُلَّمِ المسلّمات من أصول الإسلام: (مشروعية الرد على المخالف)^(٢)».

«فالرد على أهل الباطل، ومجادلتهم، ومناظرتهم، حتى تنقطع شبهتهم، ويزول عن المسلمين ضررهم، مرتبة عظيمة من منازل الجهاد باللسان»^(٣). وفي الرد عليهم حراسة الدين، وحمائته من العاديات عليه، وفيه المحافظة على وحدة الصف، وجمع الكلمة، وفيه قيام الإسلام وظهوره على الدين كله، وفيه تحطيم الأهواء والفجور»^(٤).

فعلى «العلماء رفع التكبيرة الأولى في الميدان هاتفة بإحياء هذا الواجب الجهادي الدفاعي عن الدين الإسلامي، برّد كل مخالفة بشبهة، أو شهوة، أو شذوذ. وهذا غاية في سلامة الصف الإسلامي، وتوحيده، ووحدته، وكف عوامل التصدع من الداخل، وإثارة الغبار عليه من الخارج: ﴿فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾^(٥)»^(٦).

(١) مدارج السالكين ٣٧٢/١.

(٢) الرد على المخالف، ص ١٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٥٣.

(٤) نفسه، ص ٦.

(٥) سورة الأنفال، من الآية: ٥٧.

(٦) الرد على المخالف، ص ١٢٠-١٢١.

مضار السكوت عن المخالف:

ترك المخالف دون بيان فساد ما هو عليه، وتحذير الناس منه، أمر يفسد الناس ويعود على الإسلام بالهدم، لا سيما أن جملة من وسائل الإعلام أخذت تبرز المخالفين بأشخاصهم، وتنشر أفكارهم الباطلة وتعظمها؛ مما يؤدي إلى إعجاب الناس بهم واحترامهم، والتأثر بأفكارهم. قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمَنَافِقِ: سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

قال الشاطبي رحمه الله: «فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: النفات الجهال والعامّة إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه على بدعته، دون اتباع أهل السنة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وُقر من أجل بدعته؛ صار ذلك كالحادي المحرّض له على إنشاء الابتداع في كل شيء. وعلى كل حال؛ فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه»^(٢).

شروط وآداب من يتولى الرد والمناظرة:

أ-التمكن في الباب الذي يناظر فيه.

ب-أن يكون علمه صحيحًا.

(١) أبو داود ٢٥٧/٥، كتاب الأدب، باب لا يقول المملوك: ربي وريتي، ح ٤٩٧٧؛ والحاكم، وقال: "صحيح الإسناد"، وخالفه الذهبي بتضعيف أحد رواته، المستدرک ٣٤٧/٤، كتاب الرقاق، ح ٧٨٦٥؛ وقال إسماعيل بن محمد العجلوني: "رواه أبو داود بإسناد صحيح"، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق أحمد القلاش، ط ٦، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ)، ٤٨٤/٢، ح ٣٠٤٩.

(٢) الاعتصام، ١٥١/١-١٥٢.

ج- أن يكون له قدرة على المناظرة، فليس كل عالم قادرًا على المناظرة^(١). قال ابن تيمية رحمه الله: «وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيُخاف عليه أن يفسده ذلك المضل»^(٢).

د- أن يكون مقصوده دعوة المخالفين، وإيصال الحق إليهم، وإقامة الحجة عليهم، للذب عن دين الله تعالى، وتصفيته مما دخله من تحريف وتعطيل وتلبيس، ورد الشبهات والأباطيل^(٣). وذلك هو «إخلاص العمل لله، ابتغاء لمرضاته وطلبًا لثوابه... لا يتغني من وراء ذلك أي هدف آخر مغاير، كالانتصار للنفس، وحب الظهور... والتعصب»^(٤).

وهداية المخالف إلى الطريق الصواب «مكسب عظيم، يجدر بمن تصدى للرد على أصحاب الآراء غير المشروعة أن يحرص عليه، وأن يجتهد في تحصيله؛ إذ الرد على أصحاب الآراء غير المشروعة ومجادلتهم ليس مقصودًا لذاته بل هو وسيلة لإظهار الحق وهداية الخلق»^(٥). ه- بيان ما عليه المخالف من الباطل؛ لحمله على تركه ومجانبته، ولئلا يلتبس على الناس^(٦).

ويندرج تحت هذا: نشر الثقافة بين شباب المسلمين عن المذاهب الإلحادية، وأهدافها، وحكمها في الإسلام؛ حتى لا يخرجوا من الإسلام من حيث لا يشعرون.

و- «أن يكون منهجه في التعامل سليمًا موافقًا للشرع، لا مصادمًا له... فمعاملته للكفار لا يجوز أن يكون فيها ظلم وتعد وغش وكذب... وعند التعامل مع المبتدع لا يجوز التعامل معه

(١) الشروط أ-ج: مختصر فقه الرد على المخالف، خالد بن عثمان السبت، (جدة، مركز المصادر للنشر، ١٤٢٩هـ)، ص ٣١-٣٢.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ١٧٣/٧.

(٣) ينظر: مختصر فقه الرد على المخالف، ص ٣٤؛ ودعوة أهل البدع، ص ٩٨-٩٩.

(٤) فقه التعامل مع المخالف، ص ٣٠-٣١؛ وينظر: الرد على المخالف، ص ٧٥.

(٥) التعبير عن الرأي: ضوابطه ومجالاته في الشريعة الإسلامية، د. خالد بن عبد الله الشمراني، (جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٠هـ)، ص ١٩٧.

(٦) ينظر: مختصر فقه الرد على المخالف، ص ٣٤؛ ودعوة أهل البدع، ص ٩٩.

على أنه كافر... وعند التعامل مع الفاسق لا يجوز شتمه ولا تكفيره... ولا يجوز كذلك تقنيته من رحمة الله، ولا التجسس عليه وتتبع عورته... وعند التعامل مع أصحاب الهفوات والزلات من أهل العلم والصلاح لا يجوز الإساءة إليهم وتخشين الكلام معهم وإلزامهم بما لم يقصدوا، كما لا يجوز تتبع عثراتهم وإشاعتها»^(١).

والحذر - في معرض ذلك - من جملة أمور، قد وقعت في بعض فترات التاريخ الإسلامي والواقع المعاصر بما لا يسر، وأهمها ما يلي:

- افتقاد العدل والإنصاف في النظر إلى المخالفين، وفي الحكم عليهم، أو اتباع الهوى والتعصب^(٢).
- تكفير الأشخاص أو الجماعات^(٣). وليعلم أن «إصدار الحكم بالتكفير لا يكون لكل أحد من آحاد الناس أو جماعاتهم، وإنما مرد الإصدار إلى العلماء الراسخين في العلم الشرعي، المشهود لهم به، وبالخيرية، والفضل»^(٤).
- تضخيم الأخطاء وتكبيرها، والتكلف في تتبعها^(٥).
- تصنيف الناس بالظنون، والوقوع في أعراض العلماء والدعاة؛ إذ «من أسباب الإلحاد: (القدح في العلماء)...؛ وهذا بلاء عريض، وفتنة مضلة في تقليص ظل الدين، وتشيت جماعته، وزرع البغضاء بينهم، وإسقاط حملته من أعين الرعية»^(٦). بل ينبغي أن تعالج أخطاء العلماء والدعاة فيما بينهم أنفسهم، من خلال الزيارات الخاصة، والتناصح المستتر عن أعين العامة ومسامعهم.

(١) فقه التعامل مع المخالف، ص ٣٢-٣٣؛ وينظر: الرد على المخالف، ص ٧٦.

(٢) إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفهم، محمد بن صالح بن يوسف العلي، (جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤١٥هـ)، ص ٧-٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٧-٨.

(٤) درء الفتنة عن أهل السنة، بكر بن عبد الله أبو زيد، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٩هـ)، ص ٣٦.

(٥) إنصاف أهل السنة والجماعة، ص ٧-٨.

(٦) تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص ٢٧، ٢٩.

قال بكر أبو زيد رحمه الله: «اعلم أن (تصنيف العالم الداعية) -وهو من أهل السنة- ورميه بالنقائص: ناقض من نواقض الدعوة، وإسهام في تقويض الدعوة، ونكث الثقة، وصرف الناس عن الخير، وبقدر هذا الصد، يفتح السبيل للزائغين»^(١).

والحرص -في معرض ذلك- على اجتماع الكلمة، وبند الفرقة والاختلاف، وبخاصة فيما بين أهل السنة بعضهم مع بعض.

ز- أن يغلب على ظن المناظر تحقق المصلحة الشرعية من المناظرة، بحيث يعلو فيها الحق، ويسفل أمر الدعوات المخالفة. وإذا لم يكن في المناظرة فائدة للشخص المناظر، أو الجمهور المستمع، فيشرع هنا ترك المناظرة ورفضها. «جاء رجل إلى الحسن^(٢)، فقال له: أناظرك في الدين؟ فقال الحسن: أنا عرفت ديني، فإن ضل دينك فاذهب فاطلبه»^(٣).

ح-الأصل وصف المخالفة المذمومة دون تعيين صاحبها، أما تعيينه فيكون بحسب مقتضى الحال، كأن تكون مقالته فاحشة جداً، مثل مقالات الخوارج والعلمانيين ونحوهم. والتعيين كذلك إذا كان المخالف يدعو إلى ضلالته ويزيئها في قلوب العوام^(٤)، قال ابن تيمية رحمه الله: «وإذا كان^(٥) مبتدعاً، يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة، أو يسلك طريقاً يخالف الكتاب والسنة، ويخاف أن يُضِلَّ الرجلُ الناسَ بذلك: بُين أمره للناس؛ ليتقوا ضلاله، ويعلموا حاله. وهذا كله يجب أن يكون على وجه النصح وابتغاء وجه الله تعالى، لا لهوى الشخص»^(٦).

(١) المرجع السابق، ص ٧٩.

(٢) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، من سادات التابعين وكبرائهم، مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، أمه مولاة أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ. جمع بين العلم، والزهد، والورع، والعبادة، والحكمة، والفصاحة. كانت ولادته بالمدينة، وتوفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ رحمه الله. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣٩٨ هـ)، ٦٩/٢-٧٢؛ والوفاء بالوفيات ١٢-١٩٠-١٩١.

(٣) شرح السنة للبرهاري، ص ١٢٦-١٢٧.

(٤) الرد على المخالف، ص ٨٥-٨٦؛ وينظر: إنصاف أهل السنة والجماعة، ص ٩٤-٩٦.

(٥) أي: الرجل.

(٦) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٢١.

ط- التركيز أحياناً على الجمهور المتابع أكثر من الشخص المناظر؛ فقد يختار (الليبراليون) والعلمانيون، أو يُختار لهم مناقشة موضوعات محددة؛ ويهدف نوع هذا الاختيار إلى محاولة كسب النفوذ في عالم الأفكار والمعتقدات، باستمالة شرائح الناس نحو التوجه (الليبرالي) والعلماني عند تحقيق الانتصار في كسب هذه المناقشة.

تقول خبيرة (راند) (شيريل بينارد): إن مناقشة موضوعات (أسلوب الحياة) ميدان تنبارى فيه القوى المتعارضة، وتستخدمه للإشارة إلى نفوذها^(١). وتختار (بينارد) جملة من الموضوعات، وتعرض نماذج من المناقشات، تقارن فيها بين وجهات نظر القوى المتصارعة، بشأن الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والحريات الفردية، وتعدد الزوجات، والحدود والتعزيز، والحجاب، وضرب الزوجة، وحقوق الأقليات، والجهاد، ومصادر التشريع، ومفهوم الأمة الإسلامية، ومشاركة المرأة في الحياة العامة^(٢).

فالتركز على الجمهور في مثل هذه الموضوعات في غاية الأهمية.

ي- إذا وصل الداعية في محاورته مع (الليبراليين) والعلمانيين ونحوهم إلى عدم الجدوى، وأن المحاورة تفضي معهم إلى رحم عقيم، فإن نقاش الموضوعات التي يطرحونها بين الفينة والفينة أمر مهم؛ لأن من أهدافهم في طرح موضوعاتهم كسب التعاطف الشعبي معهم. ومن يستعرض الموضوعات التي يطرحونها خلال العام الواحد يتأكد له هذا الأمر، فهم يسعون لإثبات وجودهم، ولكسب جمهور متعاطف معهم، وتوسيع دائرة هذا الجمهور وتكثيره.

٥- هجرهم، وهجر مجالسهم ووسائلهم:

«الهجر: الترك والإعراض»^(٣). وهو مطلب شرعي عند الحاجة إليه، وعند غلبة الظن بنفعه، ويأتي بعد القيام بدعوة المخالفين وبيان الحق لهم. فإذا كان ثمة مصلحة شرعية شرع الهجر، وإذا انتفت المصلحة ترك الهجر، قال ابن تيمية -رحمه الله- عن عقوبة الهجر: «إذا كان يحصل بهذا الهجر حصول معروف، أو اندفاع منكر، فهي مشروعة. وإن كان يحصل بها من الفساد ما يزيد

(١) إسلام حضاري ديمقراطي، ص ١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١-٣٧.

(٣) تحرير ألفاظ التنبيه، يحيى بن شرف النووي، تحقيق عبد الغني الدقر، (دمشق، دار القلم، ١٤٠٨هـ)،

على فساد الذنب فليست مشروعة»^(١).

و«الأصل في الهجر هو: الإعراض بالكلية عن المبتدع والبراءة منه.

ومن مفرداته: عدم مجالسته. الابتعاد عن مجاورته. ترك توقيفه. ترك مكالمته. ترك السلام عليه. ترك التسمية له. عدم بسط الوجه له مع عدم هجر السلام والكلام. عدم سماع كلامهم وقراءتهم. عدم مشاورتهم. وهكذا من الصفات التي يتأدى بها الزجر بالهجر، وتحصل مقاصد الشرع»^(٢).

ويكون الهجر أيضًا بهجر وسائلهم التي ينشرون من خلالها أفكارهم، كالصحف، والمجلات، والكتب، والقنوات الفضائية، والإذاعات، والمواقع، والمنتديات، وكل وسيلة ينشرون بها ضلالهم.

وقد دلّ الكتاب والسنة على مشروعية الهجر:

فمن الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيْءِ آيِنِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾^(٥). قال القرطبي -رحمه الله- عن الآية الأخيرة: إنها «دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم، فإن صحبتهم كفر أو معصية»^(٦).

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٢١٦-٢١٧.

(٢) هجر المبتدع، بكر بن عبد الله أبو زيد، (الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤١٠هـ)، ص ١٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٦٨.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٥) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٩/٧٢.

وثبت في السنة أن النبي ﷺ هجر ثلاثة من الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، لمدة خمسين ليلة^(١).

فهذه الأدلة ونحوها «رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع، الداعين إليها، والمظهرين للكبائر، فأما من كان مستتراً بمعصية، أو مسرراً لبدعة غير مكفرة، فإن هذا لا يهجر، وإنما يهجر الداعي إلى البدعة؛ إذ الهجر نوع من العقوبة وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولاً وعملاً»^(٢).

وهجر عامة المسلمين لأهل البدع ومجالسهم واجب ابتداءً؛ حيث إن العامة لا يقومون بدعوة أهل البدع، وهم عرضة بدرجة كبيرة للتأثر ببدعهم، قال البرهاري -رحمه الله- عن مجالسة الجهمية^(٣): «فأدنى ما يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه، أو يتابعهم، أو يزعم أنهم على الحق، ولا يدري أنه على الحق أو على الباطل، فصار شاكاً؛ فهلك الخلق»^(٤). وقال: «وإذا رأيت الرجل جالس مع رجل من أهل الأهواء، فحذره وعرفه، فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه؛ فإنه صاحب هوى»^(٥).

ف «مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم ومعاشرتهم سبب لانتقال العدوى منهم، فإن المرء من جلسه، والإنسان مدني بالطبع، يتأثر بمن حوله؛ لذلك حذر السلف من مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم ومعاشرتهم فضلاً عن التلقي عنهم»^(٦).

(١) ثبت هذا في المتفق عليه: البخاري ١٥١/٥-١٥٦، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، ح ٤٤١٨؛ ومسلم ٢١٢٠/٤-٢١٢٨، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم، ح ٢٧٦٩.

(٢) مجموع الفتاوى ١٧٤/٢٤-١٧٥.

(٣) إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، قامت أفكارها على البدع الكلامية والآراء المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة، متأثرة بعقائد اليهود والمشركون والفلاسفة الضالين. والجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي، أول من ابتدع القول بخلق القرآن، قتل عام ١٣٠هـ.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١٠٤٠/٢؛ و«فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ٧٩٥/٢».

(٤) شرح السنة للبرهاري، ص ٩٧.

(٥) المرجع السابق، ص ١١٩.

(٦) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها، ٣٦٣/١.

٦- الاحتساب عليهم وتعزيرهم:

الاحتساب والحسبة: «أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله»^(١). من الأصول التي قررها علماء الإسلام من أهل السنة والجماعة: الاحتساب على أهل البدع وأصحاب الأفكار المنحرفة، ومعاقبتهم، متى ما أعلنوا مخالفتهم وبدعهم وأفكارهم^(٢). «والحسبة من قواعد الأمور الدينية، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم؛ لعموم صلاحها، وجزيل ثوابها»^(٣).

قال ابن تيمية -رحمه الله- عن بعض أهل البدع: «وأما سؤال السائل: هل يجب على ولي الأمر زجرهم وردعهم؟ فنعم يجب ذلك في هؤلاء وفي كل من أظهر مقالة تخالف الكتاب والسنة؛ فإن ذلك من (المنكر) الذي أمر الله بالنهي عنه كما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٤). وهو من (الإثم) الذي قال الله فيه: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشُّحَّ﴾^(٥)»^(٦). ومن الاحتساب: رفع الدعاوى عليهم عند إظهار شيء من مخالفاتهم.

ويدخل في الاحتساب عليهم: الاحتساب على الفتاوى الشاذة التي تصدر عنهم، أو عن بعض دعاة أهل السنة، دون تقدير لمرادات أصحاب المذاهب المنحرفة من بثها. وقد كان عدد من العلماء يحتسبون على بعض المفتين، وبينون خطأهم، قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله تعالى: «وكان شيخنا -رضي الله عنه- شديد الإنكار على هؤلاء، فسمعتة يقول: قال لي بعض هؤلاء: أ جعلت محتسباً على الفتوى؟ فقلت له: يكون على الخبازين والطبّاحين

(١) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ٢٩٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى ٢٨/٢١٥-٢٢٢.

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ٣٢٢.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٤.

(٥) سورة المائدة، من الآية: ٦٣.

(٦) مجموع الفتاوى ١٢/٤٦٤.

محتسب؟ ولا يكون على الفتوى محتسب؟!»^(١).

وقال الخطيب البغدادي^(٢) رحمه الله: «ينبغي لإمام المسلمين أن يتصفح أحوال المفتين؛ فمن كان يصلح للفتوى أقرّه عليها، ومن لم يكن من أهلها منعه منها، وتقدم إليه بأن لا يتعرض لها وأوعده بالعقوبة إن لم ينته عنها»^(٣).

أما التعزير: فهو «تأديب استصلاح وزجر، على ذنوب لم يُشرع فيها حدود ولا كفارات»^(٤).

«والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم والفواحش والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع»^(٥).

ويكون التعزير «بكل ما فيه إيلاء الإنسان من قول وفعل، وترك قول وترك فعل، فقد يعزر الرجل بوعظه، وتوبيخه، والإغلاظ له، وقد يعزر بهجره وترك السلام عليه حتى يتوب، إذا كان ذلك هو المصلحة... وقد يعزر بعزله عن ولايته... وكذلك قد يعزر بالحبس وقد يعزر بالضرب»^(٦)، أو غير ذلك مما يراه المحتسب والحاكم.

وكان «إبراز العقوبات الشرعية على المبتدعة -إذا دُكرُوا فلم يتذكروا، ونحو فلم ينتهوا- إعمالاً لاستطلاحهم وهدايتهم، وأوبتهم بعد غربتهم في مهاوي البدع والضياع، وتشبيهاً للحاجز بين السنة والبدعة، وحاجز النفرة بين السني والبدعي، وقمعاً للمبتدعة وبدعهم، وتحجيماً لهم ولها، عن الفساد في الأرض، وتسرب الزيغ إلى الاعتقاد؛ ليبقى الظهور للسنن،

(١) إعلام الموقعين ٤/١٦٧.

(٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، حافظ المشرق في زمنه، له مصنفات كثيرة، منها: (تاريخ بغداد)، و(اقتضاء العلم والعمل)، و(شرف أصحاب الحديث)، توفي سنة ٤٦٣ هـ رحمه الله. وفيات الأعيان ٩٢/١-٩٣؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/٢٧٠-٢٩١.

(٣) الفقيه والمتفقه، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، ط ٢، (الرياض، دار ابن الجوزي، ١٤٢١ هـ)، ٢/٣٢٤.

(٤) تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الحكم، إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري، (القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٦ هـ)، ٢/٢٨٨.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٠٥.

(٦) المرجع السابق ٢٨/٣٤٤.

صافية من الكدر، نقية من علائق الأهواء وشوائب البدع، جارية على منهاج النبوة وقفو الأثر»^(١).

٧- إقامة حد الردة على مستحقه:

«مما لا شك فيه أن إقامة حد الردة له أثر كبير في حفظ الدين من جانب العدم، إذ في إقامته على أصحاب البدع الكفرية والآراء المخرجة من الملة، تطهير للمجتمع من شرهم، وحفظ له من شؤمهم»^(٢). قال ابن تيمية -رحمه الله- عن المرتد: إنه «لو لم يقتل... لكان الداخل في الدين يخرج منه؛ فقتله حفظ لأهل الدين، والدين، فإن ذلك يمنع من النقص، ويمنعه من الخروج عنه»^(٣).

(١) هجر المبتدع، ص ٧.

(٢) التعبير عن الرأي، ص ٢٥٨-٢٥٩.

(٣) مجموع الفتاوى ١٠٢/٢٠.